مجلة العلوم الشرعية
جامعة *القصيم*، المجلد (٩)، العدد (٢)، ص ص ٩١٩-٩٧٨، (رجب ١٤٣٧هـ/إبريل٢٠١٦م)

آراء المفسرين في المتصل لفظاً المنفصل معنىً في القرآن الكريم

د. زكريا علي محمود الخضر
أستاذ مشارك في التفسير وعلوم القرآن
جامعة اليرموك، كلية الشريعة، قسم أصول الدين

ملخص البحث. المتصل لفظاً المنفصل معنىً في القرآن الكريم من المباحث الدقيقة التي تتطلب البحث والدراسة، فهو أصل كبير في الوقف والابتداء، ويشكل أهمية كبيرة في تفسير القرآن وبيانه.

وقد تطرق لهذا الموضوع بالإشارة والإلماح بعض من عنوا بعلوم القرآن، كما أشار إليه المفسرون في ثنايا تفسيرهم للقرآن، إلا أن الباحث عرض لهذا الموضوع من ناحية تأصيلية، وبين أصول البحث فيه، وناقش آراء المفسرين، وعمل على الموازنة بينها بالأدلة العلمية، وعرض للآيات التي قيل بأنها من المتصل لفظاً المنفصل معنىً موجهاً مناقشاً مرجحاً.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد، فإن موضوعات القرآن الكريم كثيرة، عني بها المفسرون والباحثون على تنوع رؤاهم العلمية المتعددة، غير أن بعض الموضوعات لم تحظ بالعناية الدقيقة والتفصيل العلمي المعمَّق، مما يدعو الباحث إلى تتبع أطراف الموضوع والعناية به بشكل موسع من جهة التأصيل والدراسة العلمية المبنية على التحليل والمقارنة.

ومن بين هذه الموضوعات المهمة موضوع دقيق في بابه؛ ألا وهو المتصل لفظاً المنفصل معنىً في القرآن الكريم، وقد آثرت البحث في هذا الموضوع لما يشكله من أهمية بالغة في حل الإشكالات الناشئة في التفسير، ولتجلية أوجه الارتباط بين أجزاء النظم القرآني، وقد رأيت من صنيع بعض المفسرين في هذا أنهم لم يوردوا إلا وجهاً واحداً في المسألة دون التعرض لبقية الآراء في تناولها، يضاف إلى ذلك أن هناك خلافات بين المفسرين في هذا الجانب تحتاج إلى البت بشأنها؛ إذ سكت عنها المفسرون، ولم يوضحوا ما ينجم عن ذلك من خلاف في المعنى، كما أن بعض العلماء رد بعض الأوجه والآراء دون دليل، حيث يحكم ببعد الرأي عن الصواب دون بيان السبب أو الإشارة إليه.

وقد دعا هذا وغيره من الأسباب إلى ملاحظة منطلقات المفسرين في فهم هذا الموضوع، وبيان معتمدهم في البحث في جزئياته، وملاحظة ترجيحات بعضهم بغية الوقوف على طرق الاستنباط والبحث، ومعرفة أصول البحث في هذا الموضوع الدقيق.

وقد قمت بدراسة مقارنة وتحليلية لآراء المفسرين في الآيات التي قيل فيها بالاتصال اللفظي والانفصال المعنوي، وقد تتبعت آراء المفسرين في تفاسيرهم

المتنوعة ما بين تفسير لغوي، وتفسير بلاغي، وتفسير فقهي، ونحو ذلك سواء أكانت هذه من التفاسير القديمة أم من التفاسير المعاصرة كتفسير المنار وتفسير التحرير والتنوير، وعملت على توجيه الآراء ومناقشتها وترجيح الرأي الذي ارتأيته بعد النظر والتأمل.

وقد جاء البحث في مقدمة وثلاثة مباحث على النحو الآتي:

المقدمة

المبحث الأول: معنى الموصول لفظاً المنفصل معنىً، وبيان أهميته

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: بيان معنى الموصول لفظاً المنفصل معنىً.

المطلب الثاني: أهمية البحث في الموصول لفظاً المنفصل معنىً.

المبحث الثاني: أصول البحث في الموصول لفظاً المنفصل معنىً وما ينبغي مراعاته فيه

وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: مراعاة السياق وعدم فصل الكلام من غير مسوغ.

المطلب الثاني: البعد عن التكلف في القول وتحميل الآية مالا تحتمل.

المطلب الثالث: مراعاة القراءات في الآية.

المطلب الرابع: إيجاد تخريجات بلاغية ولغوية سائغة تبرز وجه الإعجاز النسقي في القرآن.

المطلب الخامس: اعتماد المرجحات العلمية وعدم رد الأقوال بلا دليل معتبر.

المبحث الثالث: دراسة مقارنة لأقوال المفسرين في الموصول لفظاً المنفصل معنىً

وفيه أربعة عشر مطلباً:

المطلب الأول: القول في قوله تعالى: ﴿ قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ (آل عمران: ٣٧).

المطلب الثاني: القول في قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ تَرَى إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴿ ٥٠ ﴾ ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾ (الأنفال: ٥٠ -٥١).

المطلب الثالث: القول في قوله تعالى: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ إِنِ افْتَرَيْتُهُ فَعَلَيَّ إِجْرَامِي وَأَنَا بَرِيءٌ مِّمَّا تُجْرِمُونَ ﴾ (هود: ٣٥).

المطلب الرابع: القول في قوله تعالى: ﴿ ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ ﴾ (يوسف: ٥٢ -٥٣).

المطلب الخامس: القول في قوله تعالى: ﴿ ٢٠ ﴾ وَبَرَزُوا لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِن شَيْءٍ قَالُوا لَوْ هَدَانَا اللَّهُ لَهَدَيْنَاكُمْ سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجَزِعْنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ ﴾ (إبراهيم: ٢١).

المطلب السادس: القول في قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ ﴾ الآية إبراهيم: ٢٢).

المطلب السابع: القول في قوله تعالى: ﴿ إِنَّهُ مَن يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى ﴿ ٧٤ ﴾ وَمَن يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَى ﴿ ٧٥ ﴾ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ مَن تَزَكَّى ﴾ [طه: ٧٤ - ٧٦].

المطلب الثامن: القول في قوله تعالى: ﴿ فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُوَارٌ فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى فَنَسِيَ ﴾ (طه: ٨٨).

المطلب التاسع: القول في قوله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴿٦٥﴾ إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٦٦﴾ (الفرقان: ٦٥ -٦٦).

المطلب العاشر: القول في قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا جَاءَهَا نُودِيَ أَنْ بُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (النمل: ٨).

المطلب الحادي عشر: القول في قوله تعالى: ﴿ أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿٢٥﴾ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴾ (النمل: ٢٥ -٢٦).

المطلب الثاني عشر: القول في قوله تعالى: ﴿ قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ ﴾ (النمل: ٣٤).

المطلب الثالث عشر: القول في قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ أَهَكَذَا عَرْشُكِ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ ﴾ (النمل: ٤٢).

المطلب الرابع عشر: القول في قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ ﴾ (القصص: ٨٠).

اسأل الله –تعالى – التوفيق والسداد فيما قدمت من جهد وبحث، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الباحث

المبحث الأول: معنى المتصل لفظاً المنفصل معنىً وبيان أهميته

المطلب الأول: بيان معنى المتصل لفظاً المفصول معنىً

يمكن أن يعرف المتصل لفظاً المنفصل معنىً على أنه ما له تعلق بسابقه من جهة اللفظ، ولكنه منفك عنه من جهة المعنى، وقد استخلصت هذا التعريف لدى النظر في أحوال الوقف والابتداء؛ إذ لم أقف على تعريف خاص به عند العلماء.

وقد ألحقه السيوطي في الإتقان بالوقف، وعقد له باباً مقتضباً لم يعرض فيه إلا لبعض الإشارات اليسيرة والأمثلة القليلة، غير أنه لم يتناولها بالتفصيل أو الترجيح، وقد قال عنه" وهو أصل كبير في الوقف، ولهذا جعلته عقبه - أي الوقف والابتداء -"[١].

ولدى النظر والبحث أرى أنه من أنواع الوقف الجائز، ومن قسم التام المختار، والتام المختار(هو الذي لا يتعلق بشيء مما بعده، فيحسن الوقف عليه والابتداء بما بعده)[٢].

وهو(التام الذي يحسن الوقف عليه والابتداء بما بعده، ولا يكون بعده ما يتعلق به، كقوله تعالى: ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ١٦﴾ (البقرة: ٥)[٣].

المطلب الثاني: أهمية البحث في الموصول لفظاً المنفصل معنىً

يعد هذا الموضوع من الموضوعات المهمة في فهم القرآن الكريم وتذوق نظمه البديع، لما ينطوي عليه من بيان لأسرار ذلك النظم وبيان قوة معانيه، وتتأتى أهمية البحث فيه في جملة أمور:

---

(١) السيوطي، الإتقان، (١/٢٨٠).

(٢) المصدر نفسه، (١/٢٦٠).

(٣) ينظر الأنصاري، المقصد لتلخيص ما في المرشد في الوقف والابتداء، ص ١٧.

الفرع الأول: حل الإشكالات الناشئة في بيان المعنى:

قد يبدو للقارئ من ظاهر الآية إشكال ذهني يعسر عليه حله إلا بالنظر إلى جهة الانفصال اللفظي والاتصال المعنوي، فينجلي له الإشكال وتنحل عنه هذه العقدة من هذا الطريق، والمثال على ذلك قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِ فَلَمَّا أَثْقَلَت دَّعَوَا اللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ آتَيْتَنَا صَالِحًا لَّنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿١٨٩﴾ فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحًا جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ (الأعراف١٨٩ -١٩٠).

فالآية حسبما يظهر في سياقها أنها في قصة -آدم عليه السلام- وزوجه، إلا أن آخر الآية مشكل؛ إذ يبدو من حيث الظاهر ما يشير إلى نسبة الشرك إلى آدم وزوجه، وهذا يتنافى مع عصمة الأنبياء ولا يليق في حقهم، فكيف يحل هذا الإشكال إذن؟ والجواب عن ذلك: أنه لا سبيل إلى حله إلا إذا ذهب المفسر إلى عد قوله تعالى: ﴿فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ من باب المتصل لفظاً المنفصل معنىً، قال السيوطي: (وما زلت في وقفة من ذلك حتى رأيت ابن أبي حاتم قال: أخبرنا أحمد بن عثمان بن حكيم، حدثنا أحمد بن مفضل، حدثنا أسباط عن السدي في قوله: ﴿فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾، قال: هذه فصل من آية آدم، خاصة في آلهة العرب، وقال عبد الرزاق[٤]:

(٤) ينظر: الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، (٣١٧/١٣).

أخبرنا ابن عينية، سمعت صدقة بن عبدالله بن كثير المكي يحدث عن السدي قال: هذا من الموصول المفصول)[٥].

والذي يعين على ذلك ويرجحه الضمائر الواردة في(آتيتنا) (لنكونن) (ويشركون) التي تشير إلى أن الإشراك حصل من ذرية آدم.[٦]

وذهب ابن المنير إلى أن الضمير للجنس، أي جنس الذكر والأنثى، والمعنى: (والله خلقكم جنساً واحداً، وجعل أزواجكم منكم أيضاً لتسكنوا إليهم، فلما تغشاها: تغشى الجنس - هو الذكر - الجنس الآخر - الذي هو الأنثى - جرى من هذين الجنسين كيت وكيت)[٧].

ويُبعد هذا أن آدم -عليه السلام - سيدخل في جنس الذكر، وزوجه ستدخل في جنس الأنثى، فيعود الإشكال من جديد.

وقد أخرج ابن كثير آدم وزوجه من المقصود بالآية حيث قال: (ليس المراد من هذا السياق آدم وحواء، وإنما المراد من ذلك المشركون من ذريته، وهو كالاستطراد من ذكر الشخص إلى الجنس كقوله: ﴿ وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ ﴾ (الملك: ٥)، ومعلوم أن المصابيح - وهي النجوم التي زينت بها السماء - ليست هي التي يُرمى بها، وإنما هذا استطراد من شخص المصابيح إلى جنسها، ولهذا نظائر في القرآن -والله أعلم -)[٨].

وعلى هذا فإن الموصول لفظاً المفصول معنىً هنا جارٍ على حسن تخلص في القصة، فأول القصة في آدم وزوجه، ونهايتها في شأن أولادهما، أو تخلص إلى ذكر

(٥) السيوطي، الإتقان، (١/٢٨٠-٢٨١).

(٦) ينظر في ذلك الزمخشري، الكشاف، (١٧٦/٣).

(٧) ابن المنير، حاشية الانتصاف على الكشاف على هامش الكشاف للزمخشري، (١٧٦/٣).

(٨) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (٣٦٦/٢).

الشرك الحاصل من العرب باتخاذهم آلهة، قال السيوطي: (اتضح بذلك أن آخر قصة آدم وحواء(فيما آتاهما)، وأن ما بعده تخلص إلى قصة العرب وإشراكهم بالأصنام، ويوضح ذلك تغيير الضمير إلى الجمع بعد التثنية، ولو كانت القصة واحدة لقال (عما يشركان) كقوله: ﴿ دعَوَا اللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ آتَيْتَنَا صَالِحاً لَّنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴾ ١٨٩ ﴿ فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحاً جَعَلاَ لَهُ شُرَكَاء فِيمَا آتَاهُمَا فَتَعَالَى اللّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ (الأعراف: ١٩١)، وكذلك الضمائر في قوله بعده: ﴿ أَيُشْرِكُونَ مَا لاَ يَخْلُقُ شَيْئاً ﴾، وما بعده إلى آخر الآيات، وحسن التخلص والاستطراد من أساليب القرآن)[٩].

و قد ورد بيان حسن التخلص عند علماء علوم القرآن الكريم، ولا تكاد تجد فرقًا كبيراً بين ما عند هؤلاء وما عند علماء البلاغة في مفهومه، وغالباً ما يذكرونه تحت مبحث المناسبات، وقد عرفه السيوطي فقال: (هو أن ينتقل مما ابتدئ به الكلام إلى المقصود، على وجه سهل يختلسه اختلاساً دقيق المعنى، بحيث لا يشعر السامع بالانتقال من المعنى الأول إلا وقد وقع عليه الثاني ؛ لشدة الالتئام بينهما)[١٠].

وقال الزركشي: (واعلم أنه حيث قصد التخلص فلا بد من التوطئة له، ومن بديعه قوله تعالى: ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ ﴾ يشير إلى قصة يوسف _عليه السلام _ فوطأ بهذه الجملة إلى ذكر القصة يشير إليها بهذه النكتة من باب الوحي والرمز، وكقوله سبحانه موطئاً للتخلص إلى ذكر مبتدأ خلق المسيح _عليه السلام_ ﴿ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحاً ﴾ الآية)[١١].

---

(٩) السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، (٢٨١/١).

(١٠) المصدر السابق، (٢٩١/٢).

(١١) الزركشي، البرهان في علوم القرآن، (٤ /٤٥).

والشرك الوارد في الآية (تسميتهم بعبد العزى وعبد مناف وعبد شمس وما إلى ذلك مكان عبدالله وعبدالرحمن وعبدالرحيم)[١٢].

الفرع الثاني: تجلية وجه الإعجاز البياني

تتضح أهمية دراسة المتصل لفظاً المنفصل معنىً في إظهار الإعجاز البياني في نسق القرآن ونظمه، إذ مع كون الجملة القرآنية مفصولة عن المعنى الذي سبق إلا أنها ذات اتصال لفظي مع ما قبلها، متوافقة من جهة النظم والتركيب، وقد يكون ذلك من جهة الالتفات البياني، أو الاعتراض التذييلي، أو التأكيد، أو حسن التخلص والانتقال، أو ما أشبه ذلك من أوجه البلاغة الرفيعة، مما يبرز روعة الأسرار البيانية في القرآن الكريم.

ومن الأمثلة على ذلك: قوله سبحانه وتعالى: ﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ ﴿٨﴾ رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ ﴾ (آل عمران: ٧ -٩).

حيث جاءت عقب قوله تعالى: ﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ (آل عمران: ٧).

فهذا التفات من الغيبة إلى الخطاب تعليماً من الله تعالى - لعباده، لأجل دعائه والاستمرار على الإيمان والهدى والثبات عليه، وهذا من كلام الله -تعالى - لا من كلام الراسخين في العلم، وقد قطع عما قبله من المعنى بأسلوب الالتفات؛ وذلك شداً للانتباه، واسترعاءً للاهتمام وتلويناً للخطاب، وهذا الانفصال المعنوي بطريق الالتفات يؤدي غرضاً بلاغياً كبيراً، وهو أن شأن الراسخين في العلم طلب العون من

(١٢) الزمخشري، الكشاف، (١٧٦/٣).

الله –تعالى – والهداية والرحمة، وهذا دأبهم حيث يكون العلم والرحمة هبة من الله الوهاب، فالجملة استئنافية تعلم العباد كيفية الدعاء.

قال الشهاب الخفاجي: (قيل: إنه تعليم للعبادة ؛ أي قولوا إذا مر بكم متشابه ﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا ﴾ عن الإيمان بأنه حق أو عن تأويله بما ترتضيه بعد إذ هديتنا بإنزاله علينا)[١٣].

وهذا أرجح –لدى النظر – من القول بأن هذا حكاية عن الراسخين، إذ ذهب بعض المفسرين إلى أن (هذا حكاية عن الراسخين في العلم وأن قوله: ﴿ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُوا الْأَلْبَابِ ﴾ "من كلام الله –تعالى –لا حكاية قول الراسخين)[١٤].

والذي يلحظ أن هذا الرأي فيه تقطيع لأواصل الكلام، فالأولى منه جعل ﴿ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُوا الْأَلْبَابِ ﴾ وما بعدها من كلام الله –تعالى –.

المبحث الثاني: أصول البحث في المتصل لفظاً المنفصل معنىً وما ينبغي مراعاته فيه

هذا الموضوع يحتاج إلى قواعد علمية للبحث فيه، نظراً لتعدد الآراء فيه، وكثرة الاحتمالات المعنوية في بعضه، وقد تطلب الأمر من الباحث استعراض صنيع المفسرين والعلماء في فهم الآيات التي فيها المتصل اللفظي المنفصل المعنوي، وبعد النظر والتأمل ظهر لي جملة من الأصول العلمية في دراسة هذا الموضوع، وجدت بعضهم راعاها، وبعضهم الآخر نأى عنها، وهذا بيان لهذه الأصول.

---

(١٣)الشهاب الخفاجي، عناية القاضي وكفاية الراضي، (٦/٣).

(١٤) ابن جزي الكلبي، التسهيل لعلوم التنزيل، (١/١٠٠).

المطلب الأول: مراعاة السياق وعدم فصل الكلام من غير مسوغ

مما لاشك فيه أن السياق القرآني من المرجحات المهمة في اختيار الآراء، وأن جعل الكلام متصلاً أولى من انقطاعه إذا لم يكن هناك مسوغ مقنع لانقطاع الكلام، ومن الأمثلة على ذلك: قوله تعالى: ﴿قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَقْضِيًّا﴾ (مريم: ٢١)، يلحظ أن جملة (وكان أمراً مقضياً) من كلام الملك الذي بشر السيدة مريم بسيدنا عيسى -عليه السلام-، وهذه جملة متصلة بكلامه، والسياق يحتم ذلك ويؤيده تمام التأييد، قال ابن كثير: (﴿وَكَانَ أَمْرًا مَقْضِيًّا﴾ يحتمل أن يكون هذا الكلام من جبريل لمريم يخبرها أن هذا أمر مقدر في علم الله -تعالى- وقدره ومشيئته، أو من خبره تعالى لنبيه -صلوات الله عليه-)[١٥].

فهي إما أن تكون من كلام الملك، وعلى هذا تكون الواو عاطفة، ويمكن أن تكون من كلام الله -تعالى- فتكون مستأنفة[١٦].

والذي يترجح أنها من تتمة كلام الملك؛ إذ إن اتصال الكلام هنا أولى من انقطاعه، حيث إن مفاد الجملة قطع للنقاش والمراجعة في أمر قدّره الله -تعالى-، فتفهم السيدة مريم بذلك أن ما قاله الملك متحقق الوقوع وقد قضي في الأزل، وهذا أنسب للمقام وأولى بالسياق والسباق، وهذه الجملة "وكان أمراً مقضياً "تذييل للكلام الأخير، وليس لمجموع الكلام السابق.

(١٥) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (٢٢١/١).
(١٦) ينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، (٣٤/١٦).

المطلب الثاني: البعد عن التكلف في القول وتحميل الآية مالا تحتمل

يلحظ في بعض أقوال المفسرين تكلف فصل الكلام عن بعضه، وتحميل الآية مالا تحتمله قياساً على بعض النظريات اللغوية، ومثال ذلك ما رآه ابن الجوزي في قوله سبحانه وتعالى: ﴿قَالَ الْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَٰذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٩﴾ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿١١٠﴾﴾ (الاعراف١٠٩ -١١٠)، حيث طبق نظرية لغوية على هذه الآية، وقال بفصل ﴿فَمَاذَا تَأْمُرُونَ﴾ عما قبلها، حيث ذهب إلى أن (العرب تأتي بكلمة إلى جانب كلمة أخرى كأنها معها وهي غير متصلة بها، وفي القرآن: ﴿يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ﴾ (الأعراف: ١١٠) هذا قول الملأ، فقال فرعون: ﴿فَمَاذَا تَأْمُرُونَ﴾)[١٧].

ولا يخفى ما في هذا من التكلف والبعد؛ فليست هذه الآية مما ينطبق عليها هذه النظرية اللغوية، لا سيما أن السياق في إبداء الرأي والتشاور في شأن موسى -عليه السلام-، من جهة ملأ فرعون، ولا يخفى ما في الرأي من بعد لو حمل "فماذا تأمرون" على الالتفات أيضاً.

وقد يلحق بهذا الشأن أيضاً ما ذهب إليه بعض المفسرين من جعل الانقطاع الزماني في الآية من باب المتصل لفظاً المنفصل معنىً، قال السيوطي في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ إِنْ خِفْتُمْ أَن يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ

---

(١٧) هذا نقل السيوطي عن ابن الجوزي في إتقانه (٢٨٢/١)، وأصل الكلام عند ابن الجوزي (من أغمض ما يأتي من الكلام أن تحكي عن شخص شيئاً ثم تصله بالحكاية عن آخر، ونظير هذا قوله (يريد أن يخرجكم) هذا قول الملأ (فماذا تأمرون) قول فرعون، زاد المسير في علم التفسير، (٤٣٧/٣).

كَفَرُواْ إِنَّ الْكَافِرِينَ كَانُواْ لَكُمْ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴾ (النساء: ١٠١): (ظاهر الآية يقتضي أن القصر مشروط بالخوف، وأنه لا قصر مع الأمن، وقد قال به لظاهر الآية جماعة منهم عائشة – رضي الله عنها -، لكن بيّن سبب النزول أن هذا من الموصول المفصول، فأخرج ابن جرير من حديث علي، قال: سأل قوم من بني النجار رسول الله ﷺ فقالوا يا رسول الله: إنّا نضرب في الأرض، فكيف نصلي؟ فأنزل الله ﴿ وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُواْ مِنَ الصَّلاَةِ ﴾، ثم انقطع الوحي، فلمّا كان بعد ذلك بحول غزا النبي – ﷺ - فصلى الظهر، فقال المشركون: لقد أمكنكم محمد وأصحابه من ظهورهم، هلّا شددتم عليهم، فقال قائل منهم: إن لهم أخرى مثلها في أثرها.

فأنزل الله بين الصلاتين ﴿ إِنْ خِفْتُمْ أَن يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾ إلى قوله: ﴿ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴾، فنزلت صلاة الخوف، فتبيّن في هذا الحديث أن قوله: " إِنْ خِفْتُمْ " شرط فيما بعده وهو صلاة الخوف، لا في صلاة القصر، وقد قال ابن جرير[18] هذا تأويل في الآية حسن لو لم يكن في الآية إذا، وقال ابن الفرس: ويصح مع (إذا) على جعل الواو زائدة، قلت: يعني ويكون من اعتراض الشرط على الشرط، وأحسن منه أن تجعل(إذا) زائدة بناءً على قول من يجيز زيادتها)[19].

والذي يظهر أن هذا القول متكلف جداً، وهو يجعل الآية منقسمة إلى قسمين وحكمين، (فقوله: ﴿ وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن

---

(١٨)الطبري ، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، (١٢٧/٩).

(١٩) السيوطي، الإتقان، (٢٨٢/١).

﴿تَقْصُرُواْ مِنَ الصَّلَاةِ﴾ يعني به السفر وتم الكلام، ثم ابتدأ فريضة أخرى فقدم الشرط، والتقدير "إِنْ خِفْتُمْ أَن يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُواْ إِنَّ الْكَافِرِينَ كَانُواْ لَكُمْ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴿١٠١﴾ وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ" والجواب فلتقم طائفة منهم معك"وقوله "إِنَّ الْكَافِرِينَ كَانُواْ لَكُمْ عَدُوًّا مُّبِينًا" اعتراض)[٢٠].

والظاهر أن هذا فيه تقطيع لأوصال الكلام، وتحميل الآية ما لا تحتمل؛ فأسباب النزول بحاجة إلى مراجعة هنا، ودعوى انقطاع الزمان كذلك، ثم إن دعوى زيادة الواو لا تسلّم؛ فهي أصيلة في موضعها، وكذلك دعوى زيادة الواو و(إذا) لا تسلّم كذلك.

والأظهر أن قصر الصلاة مع الأمن يأتي من دليل خارجي بينته السنة النبوية، فعن يعلى بن أمية قال: "قلت لعمر بن الخطاب –رضي الله عنه –، ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُواْ مِنَ الصَّلَاةِ إِنْ خِفْتُمْ أَن يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ فقد أمن الناس، فقال: عجبت مما عجبت منه، فسألت رسول الله – ﷺ – فقال: صدقة تصدق الله بها عليكم فاقبلوا صدقته)[٢١].

قال ابن حجر: (فثبت القصر في الأمن ببيان السنة)[٢٢].

ونقل ابن حجر عن الزين بن المنير: (الشرط إذا خرج مخرج التعليم لا يكون له مفهوم، كالخوف في قوله تعالى: ﴿أَن تَقْصُرُواْ مِنَ الصَّلَاةِ إِنْ خِفْتُمْ﴾)[٢٣]، فليس الآية إذن من قبيل المتصل لفظاً المنفصل معنىً.

---

(٢٠) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، (٣٦٣/٥).

(٢١) مسلم، صحيح مسلم، كتاب الصلاة، باب صلاة المسافرين وقصرها، رقم: ١٦٠٥، (١٤٣/٢).

(٢٢) ابن حجر، فتح الباري، (٤٣٠/٢).

(٢٣) ابن حجر، فتح الباري، (٤٣٠/٢).

المطلب الثالث: مراعاة القراءات الواردة في الآية

بالتنبه إلى القراءات الواردة في الآية يمكن أن تجعل الآية من قبيل المتصل لفظاً المنفصل معنىً، وهذا من بلاغة النظم القرآني، والمثال على ذلك: ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَأَقْسَمُواْ بِاللّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِن جَاءتْهُمْ آيَةٌ لَّيُؤْمِنُنَّ بِهَا قُلْ إِنَّمَا الآيَاتُ عِندَ اللّهِ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءتْ لاَ يُؤْمِنُونَ﴾ (الأنعام: ١٠٩).

ففي قوله تعالى: ﴿وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءتْ لاَ يُؤْمِنُونَ﴾ قراءات متواترة، (فقرأ ابن كثير ﴿وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا﴾ مكسورة الألف، وكذلك قرأ أبو عمرو بالكسر، غير أن أبا عمرو كان يختلس حركة الراء من ﴿يُشْعِرُكُمْ﴾، وقرأ نافع وعاصم في رواية حفص وحمزة والكسائي وابن عامر بالفتح)[٢٤].

(وقرأ ابن عامر وحمزة بتاء الخطاب، والباقون بياء الغيبة)[٢٥]، وقد ذهب مجاهد إلى عدها من قبيل المتصل لفظاً المنفصل معنىً اعتماداً على قراءة الكسر (إنها)، والخطاب للمشركين، فهي جملة استئنافية، قال ابن كثير: (وقوله تعالى: وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءتْ لاَ يُؤْمِنُونَ) قيل: المخاطب بـ (وما يشعركم) المشركون، وإليه ذهب مجاهد، كأنه يقول لهم: وما يدريكم بصدقكم في هذه الأيمان التي تقسمون بها، وعلى هذا فالقراءة "إنها إذا جاءت لا يؤمنون "بكسر إنها على استئناف الخبر عنهم ينفي الإيمان عند مجيء الآيات التي طلبوها، وقراءة بعضهم (أنها إذا جاءت لا تؤمنون)، بالتاء المثناة من فوق، وقيل: المخاطب بقوله: ﴿وما يُشْعِرُكُمْ﴾ المؤمنون، أي: وما يدريكم أيها

---

(٢٤) ابن مجاهد، السبعة في القراءات، ص٢٦٥، وينظر: النشار، البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة، (٣٨٩/١)، ابن زنجلة، حجة القراءات، (٢٦٧/١)، ابن الجزري، شرح طيبة النشر، (٢٦٩/٤).

(٢٥) القاضي، البدور الزاهرة، ص١٠٨.

المؤمنون) وتقديره في هذه الآية : وما يدريكم أيها المؤمنون الذين تودون لهم ذلك حرصاً على إيمانكم أنها إذا جاءت الآيات يؤمنون)[٢٦].

قال السيوطي : (قال مجاهد : وما يدريكم أنهم يؤمنون إذا جاءت ، ثم استقبل بخبر فقال : إنها إذا جاءت لا يؤمنون)[٢٧].

ويلحظ هنا الوقف على (يشعركم) حيث ينتهي المعنى ، أي وما يعلمكم وما يدريكم ، ثم يبتدئ كلاماً جديداً (إنها إذا جاءت لا يؤمنون).

وبمراعاة قراءة الفتح (أنها إذا جاءت لا يؤمنون) لا يكون هناك انقطاع في الكلام ؛ حيث هو متصل بما سبق ، فهي من تتمة الجملة السابقة لها ، ومتممة لمعناها ، فتكون الجملة على الفاعلية ، أي وما يشعركم إيمانهم حال مجيء الآيات لهم.

قال السمين الحلبي : (فأما قراءة الخطاب هنا فيكون الظاهر في الخطاب في قوله : (وما يشعركم) أنه للكفار ، وأما على قراءة الغيبة فتكون معها مكسورة ، فعلى قراءة ابن كثير ومن معه يكون الخطاب في (وما يشعركم) جائزاَ فيه وجهان :

أحدهما : أنه خطاب للمؤمنين ، أي : وما يشعركم أيها المؤمنون إيمانهم ، ثم استأنف إخباراً عنهم بأنهم لا يؤمنون ، فلا تطمعوا في إيمانهم.

والثاني : أنه للكفار ، أي : وما يشعركم أيها المشركون ما يكون منكم ، ثم استأنف إخباراً عنهم بعدم الإيمان لعلمه السابق فيهم ، وعلى هذا ففي الكلام التفات من خطاب إلى غيبة ، وعلى قراءة نافع يكون الخطاب للكفار)[٢٨].

ويعلم من هذا أن مراعاة القراءات جعل الجملة موضع البحث مرة مستأنفة ، ومرة متممة لسابقتها ، ومن هنا نشأ اختلاف المعنى.

---

(٢٦) ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، (٢/٣١٦-٣١٧) بتصرف يسير.

(٢٧) السيوطي، الإتقان، (١/٢٨٣)

(٢٨) السمين الحلبي، الدر المصون، (٣ / ١٥٦-١٥٧) بتصرف.

المطلب الرابع: إيجاد تخريجات بلاغية ولغوية سائغة تبرز وجه الإعجاز النسقي في القرآن:

القول باتصال الآية لفظاً وانفصالها معنىً يحتاج إلى تخريجات لغوية وبلاغية سائغة ومقبولة بعيدة عن التكلف اللغوي، وهذا يظهر وجه الإعجاز النسقي في الآيات وقوة النظم القرآني.

ومن الأمثلة على ذلك: ما قاله ابن عاشور في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِّمَّا جَاءَكُم بِهِ حَتَّى إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ اللَّهُ مِن بَعْدِهِ رَسُولًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُّرْتَابٌ﴾ (غافر: ٣٤): (جرى أكثر المفسرين على أن هذه الجمل حكاية لبقية كلام المؤمن، وبعضهم جعل بعضها من حكاية كلام المؤمن وبعضها من كلام الله -تعالى -، وذلك من تجويز أن يكون قوله "الذين يجادلون" الخ، بدلاً أو مبتدأً، وسكت بعضهم عن ذلك مقتصراً على بيان المعنى دون تصدٍّ لبيان اتصالها بما قبلها.

والذي يظهر أن قوله: ﴿كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُّرْتَابٌ﴾ إلى قوله: ﴿جَبَّارٍ﴾ كله من كلام الله -تعالى - معترض بين كلام المؤمن وكلام فرعون، فإن هذا من المعاني الإسلامية قصد منه العبرة بحال المكذبين بموسى تعريضاً بمشركي قريش، أي كضلال قوم فرعون يضل الله من هو مسرف مرتاب أمثالكم، فكذلك يكون جزاؤكم، ويؤيد هذا الوجه قوله في آخره: ﴿وَعِندَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾، فإن مؤمن آل فرعون لم يكن معه مؤمن موسى وهارون وغيره، وهذا من باب ذكر الشيء بضده، ومما يزيدنا يقيناً بهذا أن وصف ﴿الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ﴾ تكرر أربع مرات من أول السورة ثم كان

وسطاً في قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ إِن فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُم بِبَالِغِيهِ﴾ ثم كان خاتمة في قوله: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ أَنَّى يُصْرَفُونَ﴾.

والإشارة في قوله (كذلك) إلى الضلال المأخوذ من قوله: (يضل الله) أي مثل ذلك الضلال يضل الله المسرفين المرتابين، أي أن ضلال المشركين في تكذيبهم محمداً -ﷺ- مثل ضلال قوم فرعون في تكذيبهم موسى -عليه السلام- والخطاب بالكاف المقترنة باسم الإشارة خطاب للمسلمين)(٢٩).

ويلاحظ أن الجملة الاعتراضية ذات غرض بلاغي يتصل بخطاب النبي -عليه السلام- للمشركين؛ بياناً لما هم عليه من ضلال وارتياب، وإظهاراً للغاية من قصة مؤمن آل فرعون، حيث يكون الربط بينها وبين واقع النبي -عليه السلام- مع مشركي قريش.

المطلب الخامس: اعتماد المرجحات العلمية وعدم رد الأقوال بلا دليل معتبر

قد يورد المفسر رأيه في المتصل المنفصل دون بيان مرجح علمي أو دليل معتبر، وقد يرد بعض الآراء دون مستند معتمد اكتفاءً بالظاهر، أو أن يقول ببعد الرأي وعدم التعويل عليه دون بيان السبب الذي دعاه إلى ذلك.

ومن الأمثلة على ذلك: ما قاله أبو حيان في تفسير قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾

---

(٢٩) ابن عاشور، التحرير والتنوير، (١٩٤/٢٤).

(الزمر: ٧٤): (والظاهر أن قوله تعالى: ﴿فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾ أي بطاعة الله هذا الأجر من كلام الداخلين)[٣٠].

وذكر الآلوسي أنه من كلام الداخلين عند الأكثر، ولم يفصل في الأمر.[٣١]

وجزم بعضهم أنها من كلام الله –تعالى – ولم يبين وجه الرأي في هذا[٣٢].

ومال الشوكاني إلى أن ذلك من كلام أهل الجنة، حيث قال: (وهذا من تمام قول أهل الجنة وقيل: هو من قول الله سبحانه)[٣٣]

والأصح –والله تعالى أعلم –أن هذا من كلام الله –تعالى –؛ لأن هذا إعلان جزاء ومكافأة، وهي لا تكون إلا ممن يملك الإعطاء والمكافأة والمجازاة، وقد رجح بعض العلماء أن هذا من كلام الله –تعالى – حيث (جاء تعقيباً على ما كان بين الملائكة والمتقين، ولما قال: ﴿وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِّينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ﴾ ذكر عقبه ثواب الملائكة، فقال: كما أن دار ثواب المتقين المؤمنين هي الجنة فكذلك دار ثواب الملائكة جوانب العرش وأطرافه)[٣٤].

ومن ذلك أيضاً: ما قاله ابن جزي في قوله تعالى: ﴿قَالُوا بَلَى قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ﴾ (الملك: ٩):

(٣٠) أبو حيان، البحر المحيط، (٩/٢٢٥).

(٣١) ينظر الآلوسي، روح المعاني، (١٢/٢٨٩).

(٣٢) ينظر: الجمل، الفتوحات الإلهية ، (٣/٦١٥).

(٣٣) الشوكاني، فتح القدير، (٤ / ٤٧٨).

(٣٤) ينظر: الرازي، مفاتيح الغيب، (٢٧/٤٨٠).

(يحتمل أن يكون من قول الملائكة للكفار، أو من قول الكفار للرسل في الدنيا)[٣٥].

ويظهر هنا أن ابن جزي لم يورد تفصيلاً، ولم يذكر ترجيحاً لرأي على آخر، ومثله القرطبي، حيث قال: (وقيل: إن قوله تعالى: ﴿إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ﴾ من قول خزنة جهنم)[٣٦].

قال ابن التمجيد: (فالنذير إما بمعنى الجمع لما فسر(إن أنتم إلا في ضلال كبير)، على أنه من مقول قول الكفرة لزمه أن يكون المراد بالنذير الجمع ؛ لأن أنتم في قولهم خطاب للرسل الذين أنذروهم في دار التكليف، حكوا خطابهم عند سؤال الخزنة ب (ألم يأتكم نذير)، وأما إن كان من كلام الخزنة للكفار، أو من كلام الرسل لهم فلا حاجة إلى التأويل، ويكون الوقف على (شيء) وقفاً حسناً، وقوله (إن أنتم) استئنافاً بتقدير القول)[٣٧]

والظاهر أن هذا قول الكفار للرسل في الدنيا ؛ إذ إن هذا أدل على المكابرة والمعاندة التي أبداها هؤلاء الكفار لرسلهم، وهو اعتراف بذنبهم، ويؤيده قوله تعالى: ﴿فَاعْتَرَفُوا بِذَنبِهِمْ﴾.

---

(٣٥) ابن جزي، التسهيل لعلوم التنزيل ، (١٣٥/٤)، وينظر: ابن التمجيد، حاشية ابن التمجيد على الإمام البيضاوي على هامش حاشية القونوي على الإمام البيضاوي، (١٩٤/١٩)، شيخ زاده، حاشية شيخ زاده على البيضاوي، (٢٧٧/٨).

(٣٦) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، (٢١٣/١٨).

(٣٧) ابن التمجيد، حاشية ابن التمجيد على تفسير الإمام البيضاوي على هامش حاشية القونوي على الإمام البيضاوي) (١٩ /١٩٤) بتصرف، وينظر: شيخ زاده، حاشية شيخ زاده على الإمام البيضاوي، (٨ / ٢٧٧).

وذهـب الآلوسـي إلى أن حمـل هـذا علـى كـلام الخزنـة للكفـار خـلاف الظـاهر، وأن حمـل الكـلام على أنـه مـن كـلام النـذير للكفـرة حكـوه للخزنـة فيـه تكلـف بـيّن، إذ قـال: (وكـذا مـا قيـل مـن جـواز كونـه مـن كـلام النـذير للكفـرة حكـوه للخزنـة، وفي الكشـف هـذا الوجـه تكلـف بـين، فإمـا أن يكـون مقـول قـول محـذوف يستدعيه (قـد جاءنـا نـذير)، كأنـه قيـل: قـد جاءنـا نـذير قـال إن أنـتم إلا في ضـلال كـبير فكـذبنا وقلنـا، وقـدم (فكـذبنا) و(قلنـا) تنبيهـاً علـى أن التكـذيب لم يكـن مقصـوراً علـى قـولهم هـذا، وإمـا أن يكـون التكـذيب واقعـاً علـى الجملـة أعـني ﴿إِنْ أَنتُمْ﴾، وقولـه سـبحانه وتعـالى: ﴿وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ مِن شَيْءٍ﴾ عطـف علـى كـذبنا، قدمـه علـى صـلته ليجـري مجـرى الاعـتراض مؤكـداً لحكـم التكـذيب ودالّاً على عدم القصر أيضاً، والأول أولى، انتهى)[٣٨].

المبحث الثالث: دراسة مقارنة لأقوال المفسرين في المتصل لفظاً المنفصل معنىً

لدى الدراسة والاستقراء والتتبع لآراء العلماء في تفسير الآيات التي قيـل فيهـا بالمتصـل اللفظـي المنفصـل المعنـوي، وجـدت أن ثمـة آراء تسـتحق المناقشـة والبحـث والمقارنة في هذا الإطـار، وسـأعرض ههنـا لآرائهـم الـتي عرضـوا لهـا في كتـب التفسـير بالبحث والنظر والتحليل والمقارنة، على أنـه ينبغـي أن يشـار هنـا إلى أن هـذه النمـاذج التي أوردتها، وسـأقوم بدراستها هـي علـى سـبيل التمثيـل لا الحصـر؛ حتـى لا يطـول البحـث، وقصـداً إلى جمـع متفرقـات البحـث بعـد أن بينـت الأطـر النظريـة والقواعـد العلمية في دراسة هذا الموضـوع الجـدير بالبحـث، إذ ذكـرت نمـاذج وأمثلـة علـى ذلـك، مستنداً في تتبع أطراف الموضوع إلى النظر في كتـب التفسـير وكتـب علـوم القـرآن، ومـا

---

(٣٨) الآلوسي، روح المعاني، (١٣/١٥).

أشير إليه في هذا الموضوع من لطائف ونكات علمية دقيقة ؛ بغية الوقوف على الرأي المستند إلى الدليل، والترجيح وفق النظر في أصول التفسير وتطبيق قواعده.

المطلب الأول: القول في قوله تعالى: ﴿ قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ (آل عمران: ٣٧).

اختلف المفسرون في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ هل هو من تتمة كلام مريم -عليها السلام – أو هو تعقيب من عند الله – تعالى - لبيان كفالة الرزق وعنايته بخلقه(٣٩) ؟ والذي ذهب إلى أنه من تتمة كلام مريم -عليها السلام - اتجه إلى ظاهر الكلام وسياق الآية ؛ حيث هو تأكيد من السيدة مريم -عليها السلام - لشأن الرزق، إذ أتاها من غير حول ولا قوة، ثم إن سؤال زكريا -عليه السلام - لها سؤال استغراب وتعجب، لذلك جاء بالتأكيد لإزالة هذا الاستغراب، ودفعاً لهذا التعجب، وجاء ذلك بطريقة الاعتراض التذييلي، فهو في مساق التعليل وبيان كونه من عند الله –تعالى - وهذا أرجح والله –تعالى - أعلم.

قال القونوي: (يحتمل أن يكون ذلك من كلامها، فحينئذ يكون تعليلاً لكونه من عند الله، فيكون تفضلاً ناظراً إليه، وأن يكون من كلام الله تعالى بغير تقدير، فحينئذ يكون ابتداء كلام لا تعليلاً مسوقاً لتصديق مريم، ويكون بغير تقدير لكثرته ناظراً إليه)(٤٠).

---

(٣٩) ينظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، (٣ /٧٢).

(٤٠) القونوي، حاشية القونوي على الإمام البيضاوي، (٦ /١٢٧)، وينظر القنوجي، فتح البيان في مقاصد القرآن، (٢ /٢٢٦)، الكازروني، حاشية الكازروني على الإمام البيضاوي، (٢ / ١٧).

وليس الأمر على ما ذهب إليه الطبري ومن سار على رأيه (أن ذلك ليس من قول مريم، وأنه خبر من الله تعالى لسيدنا محمد عليه الصلاة والسلام)[٤١].

المطلب الثاني: القول في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴿٥٠﴾ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ﴾(الأنفال: ٥٠ -٥١)

اختلف المفسرون في قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ (الأنفال: ٥١) هل هو من كلام الله –تعالى - فيكون مقطوعاً عما قبله؟ أو هو من تتمة كلام الملائكة للكافرين فيكون متصلاً بما سبق؟

والذي يبدو من صنيع المفسرين عدم الترجيح، حيث أوردوا هذين الاحتمالين دون ترجيح لأحدهما على الآخر، قال الزمخشري: (يحتمل أن يكون من كلام الله –تعالى -، ويحتمل أن يكون من كلام الملائكة)[٤٢].

والذي يترجح لدي أنه من تتمة كلام الملائكة، حيث تقوم الملائكة بهذا الفعل من التعذيب مع بيان العلة والسبب في ذلك؛ تبكيتاً لهم وتقريعاً لحالهم، وقطعاً لطريق التوسل إليهم لتخفيف العذاب.

وقد أشار محمد رشيد رضا إلى أن ذلك من جملة كلام الملائكة، حيث قال: (يضربون وجوههم وأدبارهم)؛ أي ظهورهم وأقفيتهم بجملتها، وهو ضرب من

---

(٤١) الطبري، جامع البيان، (٦/٣٥٩)، وينظر ابن عطية، المحرر الوجيز، (١ / ٤٢٧)

(٤٢)الزمخشري، الكشاف ، (٣/٢١٧)، وينظر: النسفي، مدارك التنزيل، (١/٤٧٦)، ابن جزي، التسهيل لعلوم التنزيل، (٢ /٦٧).

عالم الغيب بأيدي الملائكة، فلا يقتضي أن يراه الناس الذين يحضرون وفاتهم، كما أنهم لا يسمعون كلامهم عندما يقولون لهم (ذوقوا عذاب الحريق)[٤٣].

والذي يرجح هذا الرأي أيضاً أنه قد ورد في موضع آخر أن ذلك من كلام الملائكة، قال تعالى: ﴿ لَّقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴿١٨١﴾ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿١٨٢﴾ (آل عمران: ١٨١ -١٨٢).

وفي موضع آخر: ﴿ ثَانِيَ عِطْفِهِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ لَهُ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَنُذِيقُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴿٩﴾ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾ الحج: ٩ -١٠).

والذي يتولى الرد على ويلاتهم في النار هم الملائكة، قال تعالى: ﴿ وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُم مَّاكِثُونَ ﴿٧٧﴾ لَقَدْ جِئْنَاكُم بِالْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ ﴾ (الزخرف٧٧ -٧٨).

ومن نحو قوله تعالى: ﴿ وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا قَالُوا بَلَىٰ وَلَٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٧١﴾ قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ ﴾ (الزمر: ٧١ -٧٢).

---

(٤٣) محمد رشيد رضا، تفسير المنار، (١٠ /٣٢).

المطلب الثالث: القول في قوله تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ إِنِ افْتَرَيْتُهُ فَعَلَيَّ إِجْرَامِي وَأَنَا بَرِيءٌ مِّمَّا تُجْرِمُونَ﴾ (هود: ٣٥).

تنازع المفسرون في عد هذه الآية متصلة بما قبلها أو منفصلة عنها، فجمهرة المفسرين على أنها من تتمة كلام سيدنا نوح - عليه السلام -، قال الرازي: (وأكثر المفسرين على أن هذا من بقية كلام نوح - (عليه السلام) -، وهذه الآية وقعت في قصة سيدنا محمد -عليه السلام - في أثناء حكاية نوح - عليه السلام -)[٤٤].

وقال ابن عطية: (قال الطبري وغيره من المتأولين والمؤلفين في التفسير: إن هذه الآية اعترضت في قصة نوح –عليه السلام - وهي شأن محمد -عليه الصلاة والسلام - مع كفار قريش، وذلك أنهم قالوا: افترى القرآن وافترى هذه القصة على نوح، فنزلت الآية في ذلك.

قال القاضي أبو محمد: وهذا لو صح بسند وجب الوقوف عنده، وإلا فهو يحتمل أن يكون في شأن نوح – عليه السلام – ويبقى اتساق الآية مطّرداً، ويكون الضمير في قوله (افتراه) عائداً إلى العذاب الذي توعدهم به أو على جميع أخباره، وأوقع الافتراء على العذاب من حيث يقع على الإخبار به، والمعنى: أم يقول هؤلاء الكفرة: أفترى نوح هذا التوعد بالعذاب و أراد الإرهاب علينا بذلك ؟ ثم يطرد باق الآية على هذا)[٤٥].

---

(٤٤) الرازي، مفاتيح الغيب ، (٣٤٣/١٧)، القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، (٩/ ٢٩).

(٤٥) (ابن عطية، المحرر الوجيز، (٣ / ١٦٧)، وينظر قول الطبري في جامع البيان عن تأويل آي القرآن (١٢ / ٤٠).

وقد ذهب فريق من المفسرين[٤٦] إلى أنها من المتصل لفظاً المنفصل معنىً، وهي جملة معترضة في وسط قصة نوح - عليه السلام – مؤكدة لها مقررة لها كذلك (يقول الله –تعالى - لسيدنا محمد -عليه الصلاة والسلام - أم يقول هؤلاء الكافرون الجاحدون افترى هذا ونقله من عنده ﴿ قُلْ إِنِ افْتَرَيْتُهُ فَعَلَيَّ إِجْرَامِي ﴾ أي فإثم ذلك علي ﴿ وَأَنَا بَرِيءٌ مِّمَّا تُجْرَمُونَ ﴾ أي ليس ذلك مفتعلاً ولا مفترىً ؛ لأنني أعلم ما عند الله من العقوبة لمن كذب عليه)[٤٧].

وحجة من قال باتصال هذه الآية بما قبلها أن (الكلام قبلها وبعدها مع نوح –عليه السلام -)[٤٨].

وحجة من ذهب إلى انفصالها (أن كونها في شأن النبي –عليه السلام - أظهر وأنسب من كونها من تتمة قصة نوح –عليه السلام -، لأن (أم يقولون افتراه) كالتكرار لقوله سبحانه (أم يقولون افتراه) دلالة على كمال العناد، وأن مثله بعد الإتيان بالقصة على هذا الأسلوب المعجز مما لا ينبغي أن ينسب إلى افتراء، فجاء زيادة إنكار على إنكار، كأنه قيل: بل أمع هذا البيان أيضاً يقولون افتراه، وهو نظير اعتراض قوله سبحانه في سورة العنكبوت ﴿ وَإِن تُكَذِّبُوا فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِّن قَبْلِكُمْ ﴾ (العنكبوت: ١٨) بين قصة إبراهيم عليه السلام في أحد الوجهين)[٤٩].

---

(٤٦) محمد رشيد رضا، تفسير المنار ، (١٢/ ٦٠).

(٤٧) ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم، (٣١٨/٤).

(٤٨) الشوكاني ، فتح القدير، (٣، ٤٤٥).

(٤٩) الآلوسي، روح المعاني، (٢٤٧/٦).

ورأى محمد رشيد رضا (أن الجملة الاعتراضية لدفع ما يخطر ببال المشركين حيث سمعوا ما تقدم من هذه القصة أنها مفتراة لاستغرابهم هذا السبك في الجدال والقوة في الاحتجاج، وأن يصدهم هذا عن الاستماع، فيكون إيراد هذه الآية تجديداً للرد عليهم ولنشاطهم)(٥٠).

والذي يتضح بالبحث والتأمل أن هذه الآية ليست متصلة بقصة نوح -عليه السلام - وهي من قبيل المتصل لفظاً المنفصل معنىً، والذي يؤيد ذلك ويقويه جملة أمور:

أولاً: إن الجملة الفعلية تفيد التجدد والحدوث، أي يتجدد هذا القول منهم بين الحين والآخر، وجملة ﴿وَأَنَا۠ بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُجۡرِمُونَ﴾ تشير إلى موقف النبي -عليه السلام - بالجملة الاسمية الدالة على دوام براءته مما يُدّعى عليه.

ثانياً: هذه الجملة فيها تسلية للنبي -عليه السلام - لتثبيت موقفه في الدعوة بأسلوب الالتفات من الغيبة إلى الخطاب، والرابط بينها وبين القصة التأكيد والتقرير لفحواها، حيث ادعي الافتراء على سيدنا نوح -عليه السلام - فثبت، فكذلك النبي -عليه السلام -، فالمطلوب أن يثبت على دعوته التي هي الحق، فهو ليس بدعاً من الرسل، فقد قيل له ما قد قيل للرسل من قبله، وهذا نموذج من ما قيل لنوح -عليه السلام -.

ثالثاً: سبق أن دفع القرآن شبهة دعوى الافتراء في السورة نفسها قبل ذكر قصة نوح -عليه السلام - قال تعالى: ﴿أَمۡ يَقُولُونَ ٱفۡتَرَىٰهُۖ قُلۡ فَأۡتُواْ بِعَشۡرِ سُوَرٖ مِّثۡلِهِۦ مُفۡتَرَيَٰتٖ﴾ (هود: ١٣).

(٥٠) محمد رشيد رضا، تفسير المنار، (٦٠/١٢).

وبما أن القرآن بين عجزهم عن الإتيان بعشر سور مثله، وقد ثبتت أحقية هذا القرآن، جاءت هذه الآية ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ إِنِ افْتَرَيْتُهُ فَعَلَيَّ إِجْرَامِي﴾ منفصلة عن قصة نوح -عليه السلام - لبيان نفي الافتراء والاختلاف في أخبار الأمم السابقة التي ذكرت في القرآن.

قال البقاعي: (ولما كان مضمون هذه الآية نحو مضمون قوله (إنما أنت نذير والله على كل شيء وكيل)، فإن النذير من ينصح المنذر، والوكيل هو المرجوع إليه في أمر الشيء الموكول إليه، وما قبلها تعريض بنسبة نوح -عليه السلام - إلى الافتراء، تلاه بما تلا به ذاك من النسبة إلى الافتراء وإشارة إلى أن هذه القصص كله للتسلية في أمر النذارة والتأسية، فكأنه قيل: أيقولون لك مثل هذه الأقوال؟ فقد قالوها لنوح -عليه السلام - كما ترى، ثم والى عليهم من الإنذار ما لم يطمعوا معه في ترك شيء مما أمرناه به أعجبهم أو أغضبهم، فلك به أسوة، وحسبك به قدوة في أن تعد كلامهم عدماً وتقبل ما أرسلناك به من بذل النصيحة بالنذارة)[٥١]

رابعاً: القول بهذا الرأي فيه من الدلائل على قوة سبك القرآن، وأن المتصل لفظاً المنفصل معنىً في غاية الانسجام مع موضوع السورة وآيات قصة نوح -عليه السلام -، والله -تعالى - أعلم.

المطلب الرابع: القول في قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ ﴿٥٢﴾ وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي﴾ (يوسف: ٥٢-٥٣).

(٥١) البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، (٩ / ٢٨٠).

في بيان هذا القول وجهان: أحدهما أنه من كلام يوسف -عليه السلام -، وقد ذهب إلى هذا ابن جرير الطبري، والزمخشري وغيرهما، قال ابن جرير: (حدثنا أبو كريب حدثنا وكيع عن إسرائيل عن سماك عن عكرمة عن ابن عباس قال: لما جمع الملك النسوة سألهن: هل راودتن يوسف عن نفسه، ﴿قُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوءٍ قَالَتِ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ﴾، الآية، قال يوسف: (ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ)، فقال جبريل -عليه السلام -: ولا يوم هممت بما هممت به، فقال: (وما أبرئ نفسي) الآية، وهكذا قال مجاهد وسعيد بن جبير وعكرمة وابن أبي الهذيل والضحاك وقتادة والسدي)[٥٢].

ويلاحظ أن الطبري تبنى هذا الرأي بناءً على رواية غير مقطوع بصحتها، ورأى الزمخشري أن هذا الكلام من يوسف -عليه السلام - فيه تعريض بامرأة العزيز خيانتها أمانة زوجها، وبه في خيانته أمانة الله حين ساعدها بعد ظهور الآيات على حبسه، ويجوز أن يكون تأكيداً لأمانته، وأنه لو كان خائناً لما هدى الله كيده ولا سدده)[٥٣].

والذي يظهر أن آخر كلام الزمخشري لا يوافق عليه؛ لأن مقتضى الأمانة الاذعان للحق، وقد أشعر موقف زوج المرأة المقصودة في الآية بتواطئه معها بعد أن تبين له صدق يوسف -عليه السلام -.

وثاني هذين الوجهين: أنه من كلام امرأة العزيز، قال ابن كثير: (تقول: إنما اعترفت بهذا على نفسي ليعلم زوجي أني لم أخنه بالغيب في نفس الأمر، ولا وقع المحذور الأكبر، وإنما راودت هذا الشاب مراودةً فامتنع، فلهذا اعترفت ليعلم أني

(٥٢) الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، (١٦/١٤٤).
(٥٣) الزمخشري، الكشاف، (٣/٤٥٢).

بريئة ، ﴿وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي﴾ ، تقول المرأة : (ولست أبرئ نفسي ، فإن النفس تتحدث وتتمنى ، ولهذا راودته ؛ لأن النفس أمارة بالسوء إلا ما رحم ربي ؛ أي إلا من عصمه الله –تعالى - ﴿إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ ٥٣﴾ ، وهذا القول هو الأشهر والأليق بسياق القصة ومعاني الكلام)[٥٤].

والذي يظهر أن كلام ابن كثير فيه دقة بالغة ، إذ أحكم نظره في سياق الآيات ، فاهتدى إلى رأيه الذي قال به ، ويقوي ما ذهب إليه عدة أمور :

أولاها : أن القول الذي قاله ليس فيه فصل الكلام عن بعضه في النظم ، بخلاف القول الآخر الذي يؤدي إلى بتر النظم ، ولا يعين عليه السياق ، بل فيه من فصل الكلام وعدم تلاؤمه ما لا يخفى.

ثانياً : السياق شاهد على أن سيدنا يوسف -عليه السلام - لم يكن حاضراً هذا المشهد الذي جرت فيه محاكمة امرأة العزيز والنسوة اللاتي قطعن أيديهن ، قال ابن كثير : (والقول الأول أقوى وأظهر ؛ لأن سياق الكلام كله من كلام امرأة العزيز بحضرة الملك ، ولم يكن يوسف -عليه السلام - عندهم بل بعد ذلك أحضره الملك)[٥٥].

والذي يشهد لهذا أن الملك بعدها قال : (وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي) فهذا يدل على أنه لم يكن حاضراً في المجلس.

ثالثا : إن قيل بأن هذا من قول يوسف -عليه السلام - فكيف يتوجه ؟ أيكون على سبيل الالتفات؟ فهذا غير ممكن ؛ لأن الالتفات لا يكون من غيبة إلى غيبة بل من غيبة إلى خطاب أو من خطاب إلى غيبة إلى غير ذلك ، وعند هذا يلزم القول

---

(٥٤) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (٢/٦٣٣).

(٥٥) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (٢/٦٣٣).

بتأويلات أخرى منها تقدير محذوف مثلاً من نحو قال يوسف ﴿ ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ ﴾ وهذا أبعد ما يكون؛ لأنه في قضايا كهذه لا بد من أن يقول صاحب القضية مقولته، وعندها لا يُعقل أن يغفل القرآن ذكره في هذه القضية الحساسة، ناهيك أن الكلام من أوله في المحاكمة منبنٍ على المساءلة للنّسوة اللاتي هنّ في موضع الاستجواب، وأن موقف امرأة العزيز موقف اعتراف تفسر فيه ما حدث، ولا بد من أن تتعرض لذكر الموقف بكليته لا سيما وأنها صدّرت القول بـ (الآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ)، ومقتضى هذا الاعتراف _الذي هو سيد_ الأدلة أن يُفهم ضمناً براءة يوسف -عليه السلام -، ولا موجب عندئذ لأن يقول ﴿ ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ ﴾، ثم ما معنى أن يقول (إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ) في مقام تبرئته؟ إذ إن هذا لا يتناسب مع مقام تبرئته، بل الأنسب أن يُجعل ذلك من قولها لا من قوله، ثم إن الموقف أوضح من أن يوقف فيه على بيان من سيدنا يوسف -عليه السلام - بعدما ظهر ما ظهر وأدلت امرأة العزيز بالحق.

رابعاً: إن القول بأن هذا من قول سيدنا يوسف -عليه السلام - فوق ما فيه من تكلف شديد، وتحميل للقول ما لا يحتمل، يلحظ فيه أن القائلين به جاءوا بأقوال لم يوقف على صحتها، فكيف يترك الظاهر من الآيات وسياقها الواضح أبين وضوح لأجل نقول لا يُقطع بصحتها.

قال أبو حيان: (والظاهر أن هذا من كلام امرأة العزيز، وهو داخل تحت قوله (قالت)، والمعنى: ذلك الإقرار والاعتراف بالحق ليعلم أني لم أخنه في غيبته وأكذب عليه و أرمه بذنب هو بريء منه، ثم اعتذرت عما وقعت فيه مما يقع فيه البشر من الشهوات بقوله (وما أبرئ نفسي)، والنفوس مائلة إلى الشهوات أمارة بالسوء، ومن ذهب إلى أن قوله (ذلك ليعلم) إلى آخره من كلام يوسف – عليه السلام – يحتاج إلى

تكلف ربط بينه وبين ما قبله، ولا دليل عليه من كلام يوسف – عليه السلام – ؛ إذ لم يكن يوسف حاضراً وقت سؤال الملك النسوة وإقرار امرأة العزيز بما أقرت به)[٥٦].

خامساً: اسم الإشارة (ذلك) جعل الكلام متصلاً لا منفصلاً، إذ أفاد اسم الإشارة هذا طوي ذكر الكلام السابق؛ لكونه لا يتلذذ بذكره ثانية، ولولا أن المقام تطلب ذكره إيراداً لبيان نزاهة يوسف -عليه السلام- وشأنه الرفيع لما ذُكر.

وعلى هذا فإن الأظهر والأقوى - حسبما يبدو من سياق الكلام ولحاقه، ولأجل المرجحات التي سقتها - أن يكون هذا من كلام امرأة العزيز -والله أعلم -.

المطلب الخامس: القول في قوله تعالى: ﴿وَبَرَزُواْ لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُواْ إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِن شَيْءٍ قَالُواْ لَوْ هَدَانَا اللَّهُ لَهَدَيْنَاكُمْ سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجَزِعْنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ﴾ (إبراهيم: ٢١).

هناك خلاف بين المفسرين في قوله تعالى: "سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجَزِعْنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ" هل هو من كلام المستكبرين أو من كلام الضعفاء ؟

قال النسفي: ((سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجَزِعْنَا أَمْ صَبَرْنَا) واتصاله بما قبله من حيث إن عتابهم لهم كان جزعاً مما هم فيه، فقالوا لهم: (سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجَزِعْنَا أَمْ صَبَرْنَا) يريدون أنفسهم وإياهم لاجتماعهم في عقاب الضلالة التي كانوا مجتمعين فيها، يقولون: ما هذا الجزع والتوبيخ ولا فائدة في الصبر (مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ)

(٥٦) (أبو حيان، النهر الماد من البحر المحيط، (٣ /٣١٢).

منجى ومهرب جزعنا أم صبرنا ، ويجوز أن يكون هذا من كلام الضعفاء والمستكبرين معاً جميعاً)[٥٧].

والذي يترجح أن يكون هذا من كلام الضعفاء والمستكبرين معاً ، ويقوي هذا أن العذاب محدق بهم جميعاً ، ولا فائدة من العتاب أو الجزع من كلا الطرفين ، وهذا يتناسب مع المعنى في الآية ﴿كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ﴾ (البقرة : ١٦٧) ، ويتناسب أيضاً مع قوله تعالى : ﴿قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُلٌّ فِيهَا إِنَّ اللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ الْعِبَادِ﴾ (غافر : ٤٨).

قال الراغب النيسابوري : (من كلام الضعفاء والمستكبرين جميعاً ، نظيره في وصل كلام إنسان بكلام إنسان آخر قوله : ﴿ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ﴾ (يوسف : ٥٢)[٥٨]

قال أبو السعود : (ويجوز أن يكون قوله (سواء علينا الخ) من كلام الفريقين على منوال قوله تعالى ﴿ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ﴾ (يوسف : ٥٢) ، ويؤيده ما روي أنهم يقولون : تعالوا نجزع فيجزعون خمسمائة عام ، فلا ينفعهم فيقولون : تعالوا نصبر كذلك فلا ينفعهم ، فعند ذلك يقولون ذلك ،

---

(٥٧) النسفي، مدارك التنزيل، (١/ ٦٤٩).

(٥٨) الراغب النيسابوري، غرائب القرآن ورغائب الفرقان، (٤ / ١٨٨)، وينظر: الشوكاني، فتح القدير (٣ / ١٠٣).

ولما كان عتاب الأتباع من باب الجزع ذيّلوا جوابهم ببيان أن لا جدوى في ذلك فقالوا ﴿مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ﴾)[٥٩].

المطلب السادس: القول في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ إِلاَّ أَن دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلاَ تَلُومُونِي وَلُومُواْ أَنفُسَكُم مَّا أَنَاْ بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (إبراهيم: ٢٢).

اختلف المفسرون في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾، هل هذا استئناف من كلام الله –تعالى - أو حكاية عن إبليس؟ فقد ذكر بعض المفسرين هذين الرأيين ولم يرجح[٦٠]، وقوى بعضهم الاحتمال الثاني ولم يرجح أيضاً، ومن هؤلاء الزمخشري وأبو السعود.

قال الزمخشري: ((إن الظالمين) قول الله –تعالى -، ويحتمل أن يكون من جملة قول إبليس، وإنما حكى الله (عز وعلا) ما سيقوله في ذلك الوقت ليكون لطفاً للسامعين في النظر لعاقبتهم، والاستعداد لما لا بد من الوصول إليه، وأن يتصوروا في أنفسهم ذلك المقام الذي يقول الشيطان فيه ما يقول، فيخافوا ويعملوا ما يخلعهم منه وينجيهم)[٦١].

---

(٥٩) أبو السعود، إرشاد العقل السليم، (٥ / ٤٢)، على أن الرواية التي أوردها أبو السعود في ترجيح رأيه محل نظر، إذ لم أعثر لها على تخريج في مصنفات الحديث.

(٦٠) ينظر: ابن جزي، التسهيل لعلوم التنزيل، (٢/١٤٠).

(٦١) الزمخشري، الكشاف، (٣/ ٥١٨) أبو السعود، إرشاد العقل السليم، (٥/ ٤٣).

ورجح الرازي أنه من كلام الله –تعالى - حيث قال: (فالأظهر أنه كلام الله -عز وجل - وأن كلام إبليس تم قبل هذا الكلام، ولا يبعد أن يكون ذلك من بقية كلام إبليس قطعاً لأطماع أولئك الكفار عن الإعانة والإغاثة -والله أعلم -).(٦٢)

وذهب أبو حيان إلى أنه من تتمة كلام إبليس، وذكر رأيا آخر: وهو أنه يحتمل أن يكون من كلام الخزنة يوم ذاك، قال: (الظاهر أنه من تمام كلام إبليس حكى الله عنه ما سيقوله في ذلك الوقت؛ تنبيها للسامعين على النظر في عاقبتهم والاستعداد لما لا بد منه، وأن يتصوروا في أنفسهم ذلك المقام الذي يقول فيه الشيطان ما يقول فيخافوا ويعملوا ما يخلصهم منه وينجيهم، وقيل: هو كلام الخزنة يوم ذلك، وقيل: من كلام الله –تعالى -)(٦٣).

والذي أميل إليه بالبحث والنظر أن هذا من تمام كلام إبليس حكى الله –تعالى - عنه قوله يوم ذاك لما يلي:

أولاً: لتسجيل وصف الظلم عليهم، وأنه لاصق بهم بدلالة (فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوٓاْ أَنفُسَكُم)، وفحوى هذا أنهم ظلموا أنفسهم، قال الشوكاني: (﴿وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾ من تتمة كلامه كما ذهب إليه البعض، فهو نوع سابع من كلامه الذي خاطبهم به، فأثبت لهم الظلم، ثم ذكر ما هو جزاؤهم عليه من العذاب الأليم، لا على قول من قال: إنه ابتداء كلام من جهة الله - سبحانه -، وقد ذهب جمهور المفسرين إلى أن (ما) مصدرية في(ما أشركتمون)، وقيل: يجوز أن تكون موصولة،

---

(٦٢) الرازي، مفاتيح الغيب، (٨٨/١٩ - ٨٩).

(٦٣) أبو حيان، البحر المحيط، (٤٢٠/٥)، ابن كثير تفسير القرآن العظيم (٤٩٠/٤)، وينظر: الشوكاني، فتح القدير، (١٤٢/٤).

على معنى إني كفرت بالذي أشركتموني وهو الله –عز وجل –، ويكون هذا حكاية لكفره بالله عند أن أمره بالسجود لآدم –عليه السلام –)[٦٤].

ثانياً: أن بيان عاقبة الظلم ذلك الوقت تذكرهم بسوء أفعالهم، فينقطع عليهم الطمع في طلب الرحمة، وأن عاقبة الشرك لا منجى منها، قال الراغب النيسابوري: (وليس ببعيد أن يكون من بقية كلام إبليس، قطعاً لأطماع أولئك الكفار عن إغاثته)[٦٥].

ثالثاً: حمل هذا على أنه من تتمة كلام إبليس أوقع في أنفسهم في ذلك الوقت؛ لبيان خذلان إبليس لهم حيث تعلقوا به، وهذه نتيجة هذا التعلق: الخسران والعذاب.

رابعاً: من شأن إبليس أن يتبرأ من أتباعه، وقد كان هذا ديدنه في الدنيا حيث جاء في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَّكُمْ فَلَمَّا تَرَاءَتِ الْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَى عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكُمْ إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ (الأنفال: ٤٨)، وقد بيّن القرآن هنا أن هذا ديدنه في الآخرة كذلك، فهو يخذلهم في الدنيا، ويخذلهم في الآخرة كذلك.

وعلى هذا فإن جملة: (إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) مبينة لعدم نفع الشيطان لهم، قال ابن عاشور: (وجملة (إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) من

(٦٤) الشوكاني، فتح القدير، (٣ / ١٠٤).

(٦٥) الراغب النيسابوري، غرائب القرآن ورغائب الفرقان، (٤ / ١٩٠).

الكلام المحكي عن الشيطان، وهي في موقع التعليل لما تقدم من قوله (مَّا أَنَاْ بِمُصْرِخِكُمْ)، أي لأنه لا يدفع عنكم العذاب دافع فهو واقع بكم)[٦٦].

ومما يزيد تبكيتهم أن مقولة إبليس هذه تكون بعد فوات الأوان ودخولهم النار، قال ابن كثير: (والظاهر من سياق الآية أن هذه الخطبة تكون من إبليس بعد دخولهم النار)[٦٧].

المطلب السابع: القول في قوله تعالى: ﴿ إنه من يأت ربه مجرما فإن له نار جهنم لا يموت فيها ولا يحيى ﴿ ٧٤ ﴾ ﴾ ﴿ وَمَن يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُوْلَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَى ﴿ ٧٥ ﴾ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاء مَن تَزَكَّى ﴾ [طه: ٧٤- ٧٦].

قال البيضاوي: (والآيات الثلاث يحتمل أن تكون من كلام السحرة، وأن تكون ابتداء كلام من الله تعالى)[٦٨].

واختار ابن كثير(الظاهر من السياق أن هذا من تمام ما وعظ به السحرة لفرعون، يحذرون من نقمة الله وعذابه الدائم السرمدي، ويرغبونه في ثوابه الأبدي المخلد).[٦٩]

ورجح النسفي أنه من كلام الله –تعالى - حيث قال: (وقيل: خبر من الله – تعالى - لا على وجه الحكاية، وهو أظهر).[٧٠]

---

(٦٦) ابن عاشور، التحرير والتنوير، (٢٤٨/١٢).

(٦٧) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (٣٠٥/٥).

(٦٨) البيضاوي، أنوار التنزيل، (٢/ ٥٣).

(٦٩) ابن كثير، تفسير القران العظيم، (٣/ ٢١٥).

(٧٠) النسفي، مدارك التنزيل، (٢/ ٦٨).

وقد أورد الزمخشري الرأيين دون ترجيح.[٧١]

والأظهر حسبما يفهم من سياق الآيات أن هذا من تمام كلام السحرة لفرعون، إذ فيه بيان لإدراكهم وما تنبهوا له من الحق والمعرفة بالعاقبة، وبيان لتمكين ذلك في قلوبهم وإعلان لفرعون أنه مهما حاول أن يروعهم عما هم عليه من الحق فإن محاولته تلك ستبوء بالإخفاق والخسران، وهذا كما أشار إليه ابن كثير ترغيب لفرعون في ترك ضلالاته ودعوة له للاستنارة بنور الهداية، قال الكرخي: (استئناف كلام منه سبحانه وتعالى، وليس من كلام السحرة، فيحسن الوقف على قوله وأبقى، وقيل إنه من كلامهم لما آمنوا، ولعلهم سمعوه من موسى أو من مؤمن آل فرعون، أو ألهمهم الله إياه)[٧٢].

المطلب الثامن: القول في قوله تعالى: ﴿ فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُوَارٌ فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى فَنَسِيَ ﴾ (طه: ٨٨).

اختلف المفسرون في عد هذه الآية من المتصل لفظاً ومعنىً أو من المتصل لفظاً المنفصل معنىً، والسبب في ذلك: اختلاف مرجع الضمير في كلمة(فنسي)، هل هو عائد على موسى – عليه السلام - ؟ أو هو راجع إلى السامري؟ وينبني على هذا خلاف في التفسير؛ فإذا كان الضمير عائداً على السامري فالكلام متصل لفظاً منفصل معنىً، وفي ذلك دلالة على السبب والعلة في قول السامري (هذا إلهكم وإله موسى)، حيث نسي ما كان تلقاه من هدى، وإذا كان مرد الضمير إلى موسى - عليه السلام – فالكلام متصل لفظاً ومعنىً، وهو من جملة الحكاية.

(٧١) الزمخشري، الكشاف، (٣/ ٧٨).

(٧٢) الجمل، الفتوحات الإلهية، (٣١/ ١٠٣).

قال ابن جزي : ((فنسي) يحتمل وجهين : أحدهما أن يكون من كلام بني إسرائيل والفاعل موسى ؛ أي فنسي موسى إلهه هنا ، وذهب يطلبه في الطور ، والنسيان على هذا بمعنى الذهول ، والوجه الثاني : أن يكون من كلام الله - تعالى — والفاعل على هذا السامري ؛ أي نسي دينه وطريق الحق ، والنسيان على هذا المعنى : الترك)[٧٣].

وقد ذكر كثير من المفسرين هذين الرأيين ، ولم يقدموا ترجيحاً لرأي على الآخر لقوة الاحتمالين عندهم ، قال الخطيب الشربيني : ((فنسي) أي فنسي موسى ، وذهب يطلبه عند الطور ، أو فنسي السامري ، أي : ترك ما كان عليه من الإيمان)[٧٤].

وقال ابن عادل الحنبلي : (الضمير في (فنسي) يجوز أن يعود على السامري ، وعلى هذا قيل : إنه من كلام الله تعالى ، كأنه أخبر عن السامري أنه نسي الاستدلال على حدوث الأجسام ، وأن الإله لا يحل في شيء ولا يحل فيه شيء ، ثم إنه تعالى بيّن المعنى الذي يجب الاستدلال به وهو قوله (أفلا يرون أن لا يرجع إليهم قولاً) ، أي : لم يخطر ببالهم أن من لا يتكلم ولا ينفع ولا يضر لا يكون إلهاً ، ولا يكون للإله تعلق بالحالية والمحلية ، ويجوز أن يعود على موسى - عليه السلام - ، وعلى هذا قيل : هذا قول السامري ،

---

(٧٣) ابن جزي، التسهيل لعلوم التنزيل، (١٧/٣)، وينظر أبو حيان، البحر المحيط، (٧/ ٣٧٠)، الرازي، مفاتيح الغيب، (٢٢/ ٩٠).

(٧٤) الخطيب الشربيني، السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير، (٢ / ٥٣٠).

والمعنى: أن هذا إلهكم وإله موسى فنسي موسى أن هذا هو الإله، فذهب يطلبه في موضع آخر، وهو قول الأكثرين)[٧٥].

والذي يظهر أن هذا من المتصل لفظاً المنفصل معنىً، وأن (فنسي) ابتداء كلام من الله – عز وجل – حيث يبرز السياق التركيز على عمل السامري، والسبب الداعي له على ما صنع، وهو الغفلة عن أوامر الله –تعالى -، قال أبو حيان: (والظاهر أن الضمير في (فنسي) عائد على السامري، أي: فنسي إسلامه وإيمانه، قاله ابن عباس)[٧٦] والذي يساعد على هذا الرأي أن الفاء في (فنسي) للتفريع ؛ حيث فرعت علة على معلول، قال ابن عاشور: (وتفريع (فنسي) يحتمل أن يكون تفريعاً على (فقالوا هذا إلهكم) تفريع علة على معلول، فالضمير عائد إلى السامري ؛ أي قال السامري ذلك لأنه نسي ما كان تلقاه من هدى، أو تفريع معلول على علة، أي قال ذلك، فكان قوله سبباً في نسيانه ما كان عليه من هدى ؛ إذ طبع الله على قلبه بقوله فحرمه التوفيق من بعد، والنسيان مستعمل في الإضاعة كقوله تعالى: ﴿قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَٰلِكَ الْيَوْمَ تُنسَىٰ﴾ (طه: ١٢٦)، وقوله: ﴿الَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ (الماعون: ٥)، وعلى هذا يكون قوله: (فنسي) من الحكاية لا من المحكي، والضمير عائد إلى السامري، فينبغي على هذا أن يتصل بقوله: ﴿أَفَلَا يَرَوْنَ﴾ (طه: ٨٩)، وجعله جمع من المفسرين عائداً إلى موسى – عليه السلام -، أي فنسي

(٧٥) ابن عادل الحنبلي، اللباب في علوم الكتاب، (١٣ / ٣٥٩)

(٧٦) أبو حيان، النهر الماد، (٤ / ١٠١)

موسى إلهكم وإلهه، أي غفل عنه، وذهب إلى الطور يفتش عليه وهو بين أيديكم، وموقع فاء التفريع يبعد هذا التفسير)(٧٧).

المطلب التاسع: القول في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴿٦٥﴾ إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا﴾ (الفرقان: ٦٥ -٦٦).

في هذه الآية وجهان قال بهما العلماء: الوجه الأول يحتمل أن يكون هذا من كلام الله –تعالى -، والوجه الثاني يحتمل أن يكون ذلك من كلام عباد الرحمن(٧٨)، والوجه الأول يجعل الكلام جملة تعليلية مستأنفة، والوجه الثاني يجعل الكلام جملة تعليلية لكن لا على وجه الاستئناف.

وقد قوّى الزمخشري الوجهين حيث قال: (والتعليلان يصح أن يكونا متداخلين ومترادفين، وأن يكونا من كلام الله وحكاية قولهم)(٧٩).

والذي يترجح لدي - والله أعلم – أن يكون هذا من تتمة كلامهم حيث يدل هذا على وعيهم ومهابتهم لله – تعالى – وخوفهم من وعيده، وهذا ينسجم مع بيان أوصافهم، حيث تبين الآيات سلوكهم السوي وأقوالهم الحميدة، وقد أظهرت الآية جانب الإدراك والخوف من العاقبة، إذ يدعونه تعالى رغباً ورهباً.

و قد أيد أبو حيان أن ذلك القول من تتمة كلام عباد الرحمن، حيث قال: (والظاهر أنه من كلام الداعين وحكاية لقولهم)(٨٠).

---

(٧٧) ابن عاشور، التحرير والتنوير، (١٦/ ١٦٨).

(٧٨) ينظر: الرازي، مفاتيح الغيب، (٢٤/ ٢٩٨)، ابن جزي، التسهيل لعلوم التنزيل، (٣/ ٨١).

(٧٩) الزمخشري، الكشاف، (٣/ ٢٩٨).

(٨٠) أبو حيان، البحر المحيط، (٦ / ٥١٣).

وممن ذهب إلى ذلك أيضاً البقاعي ، حيث قال : (علل سؤالهم بقولهم (إن عذابها كان) أي : كوناً جبلت عليه (غراماً) أي : هلاكاً وخسراناً ملحّاً محيطاً بمن تعلق به مذلّاً له دائماً بمن غرى به ، لازماً له لا ينفك عنه ، ونحن كنا نيسّر على من آذانا) [٨١].

وقد رجح الجمل كون الجملتين من جملة قولهم ، حيث قال : (قوله(إن عذابها كان غراما الخ) تعليل لقولهم (ربنا اصرف عنا عذاب جهنم) وكذا قوله (إنها ساءت) ، وحذف العاطف بينهما ، فالجملتان من جملة مقولهم ، فهما في محل نصب) [٨٢].

المطلب العاشر : القول في قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا جَاءَهَا نُودِيَ أَن بُورِكَ مَن فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (النمل : ٨).

قال ابن جزي : (وسبحان الله) يحتمل أن يكون مما قيل في النداء لموسى — عليه السلام - أو يكون مستأنفاً ، وعلى كلا الوجهين قصد به تنزيه الله مما عسى أن يخطر ببال السامع من معنى النداء) [٨٣] ، واختار البيضاوي أنه من تمام ما نودي به موسى - عليه السلام - ؛ لئلا يتوهم من سماع كلامه تشبيهاً ، وللتعجب من عظمة ذلك الأمر ، أو تعجب من موسى -عليه السلام - لما دهاه من عظمته [٨٤] وقال النسفي : (هو من جملة ما نودي ، فقد نزه ذاته عما لا يليق به من التشبيه وغيره). [٨٥]

---

(٨١) البقاعي، نظم الدرر، (١٣ / ٤٢٣)

(٨٢) الجمل، الفتوحات الإلهية، (٣/ ٢٦٧).

(٨٣) ابن جزي، التسهيل لعلوم التنزيل، (٣/ ٩٣).

(٨٤) البيضاوي، أنوار التنزيل، (٢/ ١٧١).

(٨٥) النسفي، مدارك التنزيل، (٢/ ٢٢٨)، وينظر: جلال الدين المحلي، تفسير الجلالين ضمن الفتوحات الإلهية للجمل، (٣ /٣٠٠).

والأصح - والله أعلم — أن هذا من تتمة ما نودي به موسى عليه السلام — إذ اقتضى بيان عظمة الله —تعالى - وقدرته وتنزيهه عما لا يليق بجلاله، وإذا ما التفتنا إلى ما في سورة طه نجد أن هذا الكلام متصل ببعضه، فقد جاء في سورة طه: ﴿ فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَا مُوسَى ﴿ ١١ ﴾ إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿ ١٢ ﴾ وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى ﴿ ١٣ ﴾ إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي ﴾ (طه: ١١ — ١٤)، وفي هذا بيان لوحدانيته سبحانه، وتعريف موسى بربوبية الله —تعالى -، وإنباء عن استحقاقه سبحانه لأن يعبد وحده وينزه عما لا يليق بشأنه.

قال أبو السعود: (وسبحان الله رب العالمين) تعجيب لموسى —عليه الصلاة والسلام - من ذلك، وإيذان بأن ذلك مريده ومكونه رب العالمين، تنبيهاً على أن الكائن من جلائل الأمور وعظائم الشؤون، ومن أحكام تربيته تعالى للعالمين)[٨٦].

المطلب الحادي عشر: القول في قوله تعالى: ﴿ وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴿ ٢٤ ﴾ أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿ ٢٥ ﴾ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴾ (النمل: ٢٤ -٢٦).

في اتصال هاتين الآيتين بما قبلهما خلاف بين العلماء، ولعل الذي جعل النقاش فيها يدور فيما بينهم حولها وجود قراءتين في قوله تعالى: (وَيَعْلَمُ مَا تخفون وَمَا تُعْلِنُونَ)، فقد قرأ الحرميان والجمهور بياء الغيبة، وقرأ الكسائي وحفص بتاء الخطاب[٨٧].

---

(٨٦) أبو السعود، إرشاد العقل السليم، (٦/٣٧٤).

(٨٧) ابن زنجلة، حجة القراءات، ص٥٢٨.

فلا شك أن القراءة بياء الغيبة تجعل الكلام متصلاً لفظاً ومعنىً، فهو من تتمة كلام الهدهد ؛ إذ (الضمير عائد على المرأة وقومها)(٨٨).

أما القراءة بتاء الخطاب فعلى إثرها جرى الخلاف بين العلماء في اتصال الآيتين بما قبلهما، فهل يكون هذا من تتمة كلام الهدهد أو هو من المتصل لفظاً المنفصل معنىً، أي من كلام الله –تعالى -؟

ذهب ابن عطية إلى أن الآية من خطاب الله –عز وجل - لأمة محمد ﷺ(٨٩). غير أن هذا فصل للكلام لا موجب له ولا مسوغ.

ونقل أبو حيان في تفسيره (أن هذا من كلام الله –عز وجل -، الموجب له أن الهدهد لما ذكر عظم عرش بلقيس رد الله –عز وجل - عليه بأن عرشه هو الموصوف بهذه الصفة على الحقيقة، إذ لا يستحق عرش دونه أن يوصف بالعظمة)(٩٠). وهذا كلام يناقش من جهتين:

الجهة الأولى: أن العظمة التي ذكرها الهدهد إنما ذكرها قياساً على ما عند البشر، وفي هذا يقول الزمخشري: (فإن قلت: كيف سوى الهدهد بين عرش بلقيس وعرش الله في الوصف بالعظم؟ قلت: بين الوصفين فرق ؛ لأن وصف عرشها بالعظم تعظيم له بالإضافة إلى عروش أبناء جنسها من الملوك، ووصف عرش الله بالعظم تعظيم له بالنسبة إلى سائر ما خلق من السموات والأرض)(٩١). فهذا الوصف إضافي قياساً على ما رآه عند البشر.

---

(٨٨) أبو حيان، البحر المحيط، (٧/ ٥١).
(٨٩) ابن عطية، المحرر الوجيز، (١٦٧/٥).
(٩٠) أبو حيان، البحر المحيط، (٧/ ٥١).
(٩١) الزمخشري، الكشاف، (٣٦٢/٣).

الجهة الثانية: أن كلام الهدهد عن وصف العرش جاء عقب الحديث عن جوانب متنوعة مما رآه من ملك هذه المرأة ﴿ إِنِّي وَجَدتُّ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ اللَّهِ ﴾ (النمل: ٢٣ - ٢٤). فذكره في معرض وصف الأحوال الدينية والاجتماعية؛ ذلك أن غيرة الهدهد على التوحيد وعبادة الله وحده ظاهرة واضحة.

وقد أورد القرطبي احتمالاً آخر ولم يعلق عليه، حيث قال: (ويحتمل أن يكون من قول سليمان لما أخبره الهدهد عن القوم)[٩٢].

والذي يظهر أن هذا الكلام لا يستقيم؛ ذلك أنه لو كان من كلام سليمان – عليه السلام - فما الذي دعاه لأن يقول بعد: ﴿قَالَ سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾، حيث أراد التأكد من صدق الكلام؟ فلو كان ذلك من كلامه لكان إقراراً منه بصدق كلام الهدهد.

غير أن القرطبي رجح أن هذا من قول الله –تعالى -، قال: (ويحتمل أن يكون من قول الله –تعالى -، فهو اعتراض بين الكلامين، وهو الثابت مع التأمل)[٩٣].

وقد أورد أبو حيان احتمال أن يكون الخطاب لسليمان –عليه السلام - قال: (وقرأ الكسائي وحفص بتاء الخطاب، فاحتمل أن يكون خطاباً لسليمان –عليه السلام - والحاضرين معه، إذ يبعد أن يكون محاورة الهدهد لسليمان وهما ليسا معهما أحد، وكما جاز له أن يخاطبه بقوله ﴿أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ﴾ جاز أن يخاطبه

(٩٢) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، (١٣/١٨٧).
(٩٣) القرطبي، الجامع لأحكام القران، (١٣/١٨٧).

والحاضرين معه بقوله: ﴿مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ﴾، والظاهر أن قوله ﴿ألا يسجدوا﴾ إلى (العظيم) من كلام الهدهد)[٩٤].

وهذا الاحتمال الذي أورده أبو حيان إذا كان بناءً على أن الكلام للهدهد فهو في موضعه؛ لأنه في مقام الغيرة على الحق والتذكير بعظمة الله – تعالى -، والذي رجحه أبو حيان أن الكلام للهدهد هو الذي تميل إليه النفس، وهو الأوفق باتصال المعاني والسياق، ويبعد فيه التكلف، فعلى كلا القراءتين بتاء الخطاب أو ياء الغيبة الكلام من المتصل لفظاً ومعنىً لا من المتصل لفظاً المنفصل معنىً.

المطلب الثاني عشر: القول في قوله تعالى: ﴿قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ﴾ (النمل: ٣٤).

في اتصال هذه الجملة بما قبلها قولان، قال البيضاوي: (تأكيد لما وصفت حالهم، وتقرير بأن ذلك من عاداتهم الثابتة المستمرة، أو تصديق لها من قبل الله –عز وجل -)[٩٥].

وقال الماوردي: ((وكذلك يفعلون) فيه قولان:

أحدهما: أن هذا من قول الله –تعالى -، وكذلك يفعل الملوك إذا دخلوا قريةً أفسدوها، قاله ابن عباس، الثاني: أن هذا حكاية عن قول بلقيس: كذلك يفعل سليمان إذا دخل بلادنا، قاله ابن شجرة)[٩٦].

---

(٩٤) أبو حيان، البحر المحيط، (٧/ ٥١).

(٩٥) البيضاوي، أنوار التنزيل، (٤، ٢٦٧).

(٩٦) الماوردي، النكت والعيون، (٤ / ٢٠٨-٢٠٩).

فعلى هذا إذا اتصلت جملة(وكذلك يفعلون) بما قبلها، وكان ذلك من كلام ملكة سبأ فهي جملة مؤكدة، وإذا كان ذلك من كلام الله –تعالى - وانفصل كلام ملكة سبأ، فالجملة استئنافية، وهي معترضة في القول، قال السمين الحلبي: ((وكذلك يفعلون) أي مثل ذلك الفعل يفعلون، وهل هذه الجملة من كلامها -وهو الظاهر - فتكون منصوبة بالقول؟ أو من كلام الله –تعالى - فهي استئنافية لا محل لها من الإعراب وهي معترضة بين قوليها)[٩٧].

والأحسن -فيما يظهر - عد ذلك من المتصل لفظاً ومعنىً لا من المتصل لفظاً المنفصل معنىً، والذي يقود إلى ذلك أن مفاد الجملة (وكذلك يفعلون) أوقع في التذكير للمخاطب؛ أي الملأ، إذ ذلك يكون من واقع التجربة وخبرتها بأمور الحرب وشؤونها، والمقام مقام تذكير وإقناع ورد لهم عما أبدوه من رأي متسرع دون تبصر بحقائق الأمور، وعلى هذا فالسياق يؤيد اتصال الكلام، ولا مسوّغ لجعله من المتصل لفظاً المنفصل معنىً، قال الجمل: ((وكذلك يفعلون) هذا من جملة كلامها أكدت به ما قبله)[٩٨].

المطلب الثالث عشر: القول في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ أَهَكَذَا عَرْشُكِ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِن قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ ﴿٤٢﴾ وَصَدَّهَا مَا كَانَت تَّعْبُدُ مِن دُونِ اللَّهِ إِنَّهَا كَانَتْ مِن قَوْمٍ كَافِرِينَ﴾ (النمل: ٤٢-٤٣).

وقع خلاف بين المفسرين في من قال هذا الكلام، فذهب بعضهم إلى أنه من قول سليمان –عليه السلام -، وذهب آخرون إلى أنه من قول ملأ سليمان –عليه السلام -.

---

(٩٧) السمين الحلبي، الدر المصون، (٥/٣١٣).

(٩٨) الجمل، الفتوحات الإلهية، (٣ / ٣١٢).

فمن ذهب إلى أنه من قول سليمان –عليه السلام– نظر إلى قوله تعالى: (وكنا مسلمين)، فإسلام ملكة سبأ كان بعد دخولها إلى الصرح، والضمير من قبلها يعود إلى المرأة.

قال الطبري: (يقول تعالى مخبراً عن قول سليمان، وقال سليمان: (وأوتينا العلم من قبلها) أي هذه المرأة بالله وبقدرته على ما يشاء (وكنا مسلمين) لله من قبلها)[٩٩].

وقيل: (معناه وأوتينا العلم بإسلامها ومجيئها طائعة من قبل مجيئها، وكنا مسلمين طائعين لله -عز وجل-)[١٠٠]، وذكر الشوكاني أن هذا الرأي أرجح من سائر الأقوال، ولكنه لم يبين وجه ترجيحه[١٠١].

والذي يبدو أن الذي دعاهم إلى ترجيح هذا الرأي أمور:

أولاً: أن إسلامها كان بعد دخول الصرح لا قبله، فحملوا معنى الإسلام في (وكنا مسلمين) على الإيمان.

ثانياً: لو حمل معنى الإسلام على الإيمان سيكون قوله تعالى: (وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين) تكراراً للكلام مستغنىً عنه.

ثالثاً: أن سليمان -عليه السلام- قال ذلك في معرض إظهار الفضل الإلهي عليه، وليبين الفارق بين حاله وحالها من الهداية والفضل وما إلى ذلك.

غير أن بعض المفسرين رأى أن هذا من تتمة كلام ملكة سبأ، ولم يذكر المرجحات الدالة على ذلك، بل اكتفى ببيان المعنى وعرض للرأي السابق ودفعه من

---

(٩٩) الطبري، الجامع لتأويل آي القرآن، (١٩/ ٤٧١).

(١٠٠) البغوي، معالم التنزيل، (٦/ ١٦٦).

(١٠١) ينظر: الشوكاني، فتح القدير، (٥/ ٣٩٣).

غير بيان للسبب، قال أبو السعود: (﴿ وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِن قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ ﴾ من تتمة كلامها، كأنها ظنت أنه -عليه الصلاة والسلام - أراد بذلك اختبار عقلها وإظهار معجزة لها، فقالت: أوتينا العلم بكمال قدرة الله -تعالى - وصحة نبوتك من قبل هذه المعجزة التي شاهدناها بما سمعنا من المنذر من الآيات الدالة على ذلك، وكنا مسلمين من ذلك الوقت، وفيه من الدلالة على كمال رزانة رأيها ورصانة فكرها ما لا يخفى) [١٠٢].

وقد نبه إلى أن ما قيل من أن هذا من قول سليمان -عليه السلام - بعيد (لا يخفى ما فيه من البعد والتعسف) [١٠٣]. والذي يظهر أن ما ذهب إليه أبو السعود متجه لأمور:

أولاها: أن ثمة تكلف في القول بأن ذلك من قول سليمان -عليه السلام - أو ملئه، فالتعسف والبعد من جهة طول الفصل بين قول سليمان -عليه السلام - ﴿ قَالَ نَكِّرُوا لَهَا عَرْشَهَا نَنظُرْ أَتَهْتَدِي أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ ﴾ وبين ﴿ وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِن قَبْلِهَا ﴾، فبين هذين القولين فصلٌ يبعد الاتصال بينهما بطريق الالتفات من الغيبة إلى الخطاب، إذ يؤدي ذلك إلى عدم التلاؤم في سياق الكلام، ويفضي إلى تقطيع أوصال الكلام.

ثانيها: أن حمل الكلام على أنه من تتمة كلام ملكة سبأ أولى؛ إذ سبق وأن أرسلت بهدية لتعلم حال نبوته، ثم رأت من عظم المعجزة، ومثل هذا لا يخفى على عاقل مثلها، ولما طلب منها سليمان -علية السلام - الإتيان مسلمة (وأتوني

(١٠٢) أبو السعود، إرشاد العقل السليم، (٦/ ٢٨٩).

(١٠٣) أبو السعود، إرشاد العقل السليم، (٦/ ٢٨٩).

مسلمين) أجابت بالانقياد فقالت: (وكنا مسلمين) أي منقادين لهذا الأمر مستجيبين له.

ثالثها: لا تكرار بين قوله تعالى: (وكنا مسلمين) وقوله تعالى: ﴿وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ؛ إذ الإسلام الأول الانقياد لأمر سليمان -عليه السلام -، والإسلام الثاني الانقياد لأوامر الله -تعالى -، أو أنها وقع في قلبها الإسلام دون إعلانه في الأول، وفي القول الثاني أظهرته إعلاناً.

والأوجه أن قوله تعالى: ﴿وَصَدَّهَا مَا كَانَت تَّعْبُدُ مِن دُونِ اللَّهِ إِنَّهَا كَانَتْ مِن قَوْمٍ كَافِرِينَ﴾.

أن هذا من قول الله -تعالى -، قال أبو السعود: (بيان من جهته -تعالى - لما كان يمنعها من إظهار ما ادعته من الإسلام إلى الآن، أي صدها عن ذلك عبادتها القديمة للشمس، وقوله تعالى: ﴿إِنَّهَا كَانَتْ مِن قَوْمٍ كَافِرِينَ﴾ تعليل لسببية عبادتها المذكورة للصد؛ أي إنها كانت من قوم راسخين في الكفر، ولذلك لم تكن قادرة على إظهار إسلامها وهي بين ظهرانيهم إلى أن دخلت تحت ملكه -عليه السلام -)(١٠٤).

المطلب الرابع عشر: القول في قوله تعالى: ﴿وقال الذين أوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحا وَلَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ﴾ [القصص: ٨٠].

اختلف العلماء في بيان هذه الآية (ولا يلقاها إلا الصابرون) هل هي من كلام الله تعالى أو هي من تتمة كلام الذين أوتوا العلم، قال ابن عاشور: (يجوز أن تكون الواو للعطف، فهي من كلام الذين أوتوا العلم أمروا الذين فتنهم حال قارون

(١٠٤) أبو السعود، إرشاد العقل السليم، (٦/ ٢٨٨).

بأن يصبروا على حرمانهم مما فيه قارون، ويجوز أن تكون الواو اعتراضية، والجملة معترضة من جانب الله –تعالى - علم بها عباده فضيلة الصبر.

وضمير (يلقاها) عائد إلى المفهوم من الكلام يجري على التأنيث؛ أي الخصلة وهي: ثواب الله، أو السيرة القويمة، وهي: سيرة الإيمان والعمل الصالح)(١٠٥).

وهذه الجملة إما أن تكون من تتمة كلام الذين أوتوا العلم الناصحين لمن فتنوا بحال قارون فتكون الواو حرف عطف، وإما أن تكون من كلام الله –تعالى - منقطعة عن القصة، فتكون الجملة اعتراضية جاءت استئنافاً على اعتبار أن الواو استئنافية، والاحتمالان قويان؛ ذلك أن الضمير في (يلقاها) محتمل، قال ابن جزي: (الضمير عائد على الخصال التي دل عليها الكلام المتقدم، وهي: الإيمان والعمل الصالح، وقيل على الكلمة التي قالها الذين أوتوا العلم؛ أي لا تصدر إلا عن الصابرين)(١٠٦).

غير أن ما يظهر هو أن هذا من كلام الله –تعالى - والذي يؤيده ما يلي:

أولاً: أن هذا فيه تثبيت لموقف الذين أوتوا العلم.

ثانياً: فيه مدحة لموقفهم.

ثالثاً: هناك آية أخرى قريبة من هذه الآية في معناها، وهي قوله تعالى: ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ (فصلت ٣٤ -٣٥).

وهذا يؤكد أن الآية موضع البحث من كلام الله –تعالى - وليس من كلام الذين أوتوا العلم –والله أعلم -.

---

(١٠٥) ابن عاشور، التحرير والتنوير، (٢٠ / ١١٣).

(١٠٦) ابن جزي، التسهيل لعلوم التنزيل، (٣/ ١١٢).

قال البقاعي : (بيّن سبحانه عظمة هذه النصيحة وعلوّ قدرها بقوله مؤكداً ؛ لأن أهل الدنيا ينكرون كونهم غير صابرين (ولا يلقّاها) ، أي : لا يجعل لاقياً لهذه الكلمات أو النصيحة التي قالها أهل العلم ، أي : عاملاً بها (إلا الصابرون) أي : على قضاء ربهم في السراء والضراء ، والحاملون أنفسهم على الطاعات الذين صار الصبر لهم خلقاً ، وعبّر بالجمع ترغيباً في التعاون ، و إشارةً إلى أن الدين لصعوبته لا يستقل به الواحد)(١٠٧).

الخاتمة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

فبعد عرض المسائل العلمية في موضوع البحث ومناقشتها ، وتوجيه الأقوال في تناولها بالدرس والبحث ، أود أن أسجل بعض النتائج وأبرز ما توصلت إليه :

أولاً : المتصل لفظاً المنفصل معنىً في القرآن الكريم من المسائل العلمية التي لم تبحث على حدة ، ولم يفرد لها تصنيف أو بحث مستقل لعرض الجزئيات والقضايا العلمية المتعلقة به ، والذي أشار إليه إشارة دون تفصيل أو بحث هو الإمام السيوطي في كتابه الإتقان في علوم القرآن.

ثانياً : تتجلى أهمية المتصل لفظاً المنفصل معنىً في حل الإشكالات في بيان المعنى ، وإبراز وجه الإعجاز النسقي في القرآن الكريم ؛ وذلك من خلال بيان موضوع الآية وغرض المتصل لفظاً المنفصل معنىً فيها ، وعلاقته مع غيرها من الآيات.

---

(١٠٧) البقاعي، نظم الدرر، (١٤/ ٣٥٨).

ثالثاً: يُلحق الموصول لفظاً المنفصل معنىً بالوقف والابتداء، وهو من قسم الوقف التام المختار.

رابعاً: هناك أصول علمية للبحث في المتصل لفظاً المنفصل معنىً استنتجها الباحث وعرض لها، ومن ذلك مراعاة السياق وعدم فصل الكلام من غير مسوغ، والبعد عن التكلف في القول، وتحميل الآية ما لا تحتمل، ومراعاة القراءات في الآية، وإيجاد تخريجات بلاغية ولغوية سائغة تبرز وجه الإعجاز النسقي في القرآن، واعتماد المرجحات العلمية، وعدم رد الأقوال بلا دليل معتبر، والتنبه لمشابهات الآية ومثيلاتها في القرآن لتعزيز الرأي وتقويته.

خامساً: هناك خلافات في المتصل لفظاً المنفصل معنىً لم يرجح المفسرون فيها، وسكت عنها بعضهم، وكانت تحتاج إلى البيان والترجيح، وقد عرضت لها مقلباً النظر فيها وفق الأصول العلمية.

سادساً: هناك آيات في القرآن الأمر فيها محتمل، ويصعب الترجيح في عدها من المتصل لفظاً المنفصل معنىً أو عدم عدها كذلك، تتطلب البحث والدراسة العميقة؛ نظراً لما يعرضه العلماء من أدلة تقوي كل احتمال، وقد عملت على بحثها ودراستها وبيانها.

وبعد، فهذا الجهد وعلى الله التكلان، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الباحث

المصادر والمراجع

[١] الآلوسي، شهاب الدين محمود بن عبد الله، *روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني*، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٥هـ.

[٢] الأنصاري، زكريا بن محمد، *المقصد لتلخيص ما في المرشد في الوقف والابتداء*، تحقيق: شريف أبو العلاء العدوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٢ هـ ٢٠٠٢م.

[٣] ابن بطال، علي بن خلف بن عبد الملك، *شرح البخاري*، دون طبعة، دون تاريخ للنشر.

[٤] البقاعي، برهان الدين أبو الحسن إبراهيم بن عمر، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، ط٢، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م.

[٥] ابن التمجيد، مصطفى بن إبراهيم الرومي، *حاشية ابن التمجيد على الإمام البيضاوي على هامش حاشية القونوي على الإمام البيضاوي*، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ -٢٠٠١ م.

[٦] ابن الجزري، *شرح طيبة النشر*، تحقيق: الشيخ علي محمد الضباع، القاهرة، دون طبعة، ١٩٥٠م.

[٧] الجمل، سليمان بن عمر، *الفتوحات الإلهية*، دار الفكر، دون طبعة، دون تاريخ للنشر.

[٨] ابن الجوزي، جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد، *زاد المسير في علم التفسير*.

[٩] ابن حجر، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، *فتح الباري*، دار المعرفة، بيروت، ١٣٧٩هـ، دون طبعة.

[١٠] أبو حيان، محمد بن يوسف، *تفسير البحر المحيط*، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت، ١٤٢٠هـ، دون طبعة.

[١١] أبو حيان، محمد بن يوسف، *النهر الماد من البحر المحيط*، تحقيق: الدكتور عمر الأسعد، دار الجيل، بيروت، دون طبعة، ودون تاريخ للنشر.

[١٢] الخطيب الشربيني، محمد بن أحمد، *السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير*، تخريج وضبط: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.

[١٣] الرازي، محمد بن عمر، *مفاتيح الغيب*، دار إحياء التراث العربي – بيروت، دون طبعة. دون تاريخ للنشر، وطبعة دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.

[١٤] الراغب النيسابوري، الحسن بن محمد بن حسين، *غرائب القرآن ورغائب الفرقان*، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٦هـ -١٩٩٦م.

[١٥] رضا، محمد رشيد علي، *تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)*، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٠م، دون طبعة.

[١٦] الزمخشري، محمود بن عمر، *الكشاف*، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧، وطبعة دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٧هـ.

[١٧] ابن زنجلة، عبد الرحمن بن محمد، حجة *القراءات*، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، ١٤٠٢هـ، ١٩٨٢م.

[١٨] أبو السعود، محمد بن محمد العمادي، *إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم*، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٤، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.

[١٩] السمين الحلبي، أبو العباس بن يوسف بن محمد، *الدر المصون في علوم الكتاب المكنون*، تحقيق: الشيخ علي محمد عوض وآخرين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٤هـ -١٩٩٤م.

[٢٠] السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، *الإتقان في علوم القرآن*، تحقيق: مصطفى البغا، دار ابن كثير، دمشق، ط٣، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.

[٢١] الشهاب الخفاجي، أحمد بن محمد بن عمر، *عناية القاضي وكفاية الراضي*، دار صادر، بيروت، دون طبعة ودون تاريخ للنشر.

[٢٢] الشوكاني، محمد بن علي بن محمد، *فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير*، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الناشر: محفوظ علي، دون طبعة، دون تاريخ للنشر.

[٢٣] شيخ زاده، محيي الدين محمد بن مصلح الدين مصطفى القوجوي، *حاشية شيخ زاده على الإمام البيضاوي*، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م.

[٢٤] الطبري، محمد بن جرير، *جامع البيان عن تأويل آي القرآن*، دار هجر، ط١، دون تاريخ للنشر، وطبعة دار إحياء التراث العربي، ط١، دون تاريخ للنشر.

[٢٥] ابن عادل الحنبلي، عمر بن علي، *اللباب في علوم الكتاب*، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد عوض، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.

[٢٦] ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد، *التحرير والتنوير*، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، ط ١، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.

[٢٧] ابن عطية، عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن، *المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز*، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، دون طبعة، دون تاريخ للنشر.

[٢٨] القاضي، عبد الفتاح بن عبد الغني، *البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة*، دار الكتاب العربي، بيروت، دون طبعة، دون تاريخ للنشر.

[٢٩] القرطبي، محمد أحمد بن أبي بكر، *الجامع لأحكام القرآن*، تحقيق: سمير البخاري، دار عالم الكتب – الرياض، ط١، ١٤٢٣ هـ ٢٠٠٣م، وطبعة دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، دون طبعة، ١٣٨٧هـ - ١٩٦٧م.

[٣٠] القنوجي، صديق بن حسن بن علي، *فتح البيان في مقاصد القرآن*، تقديم: عبد الله بن إبراهيم الأنصاري، إدارة إحياء التراث الإسلامي، قطر، دون طبعة، ١٤١٠ هـ - ١٩٨٩ م.

[٣١] القونوي، عصام الدين إسماعيل بن محمد، *حاشية القونوي على تفسير الإمام البيضاوي ومعه حاشية ابن التمجيد*، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٢ هـ – ٢٠٠١ م.

[٣٢] الكازروني، *حاشية الكازروني على الإمام البيضاوي*، دون طبعة، دون تاريخ للنشر.

[٣٣] ابن كثير، إسماعيل بن عمر، *تفسير القرآن العظيم*، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر، ط٢، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م، ودار الفيحاء، دمشق، ط١، ١٤١٤هـ، - ١٩٩٤م.

[٣٤] الكلبي، محمد بن أحمد، *التسهيل لعلوم التنزيل*، دار الفكر، دون طبعة، دون تاريخ للنشر.

[٣٥] الماوردي، علي بن محمد بن حبيب، *النكت والعيون (تفسير الماوردي)*، دار الكتب العلمية و مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ط١، ١٤١هـ - ١٩٩٢م.

[٣٦] ابن مجاهد، أحمد بن موسى بن العباس، *كتاب السبعة في القراءات*، تحقيق: د.شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، ، ط٢، ١٤٠٠هـ.

[٣٧] مسلم، أبو الحسين بن الحجاج القشيري، *صحيح مسلم*، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.

[٣٨] النسفي، عبد الله بن أحمد بن محمود، *مدارك التنزيل وحقائق التأويل*، تحقيق: زكريا عميرات، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.

[٣٩] النشار، سراج الدين عمر بن زين الدين قاسم بن محمد، *البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة*، شرح وتحقيق: أحمد عيسى المعصراوي، إدارة الشؤون الإسلامية، دولة قطر، ط١، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.

Deserving of People to Pray for the Deceased (Comparative Jurisprudence Study)

Dr. Zakaryia Ali Al-Khader
Associate professor in exegesis and quran sciences
Yarmouk university, faculty of sharia
Departement of usul-addin

Abstract. Exegetes viewes regarding what is verbally connected in the Quran and meningly discunnected.

Exegetes viewes regarding what is verbally connected in the Quran and meningly discunnected is considered as one of the most accurate issues require researching and study, as it is abase and an origin in the beginning and ending of reciting of the verses, and it forms also an extensive importance for explaining and committing on the verses of the Qura'n.

This subject is viewed by the scholars of Qura'n sciences with no many details in their interpretations, so this required from the researcher studying deeply and lead him to shed light on the structures which connect with the manner of understanding these issues.

in addition to this, the researcher discussed the commentators of the Qura'n in their point of view and choosed the closed point of view to the accuracy by exposing the scientific evidence in the Issues which are disscussed.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة *القصيم*، المجلد (٩)، العدد (٢)، ص ص ٩٧٩-١٠٢٣، (رجب ١٤٣٧هـ/إبريل٢٠١٦م)

مقتضيات الإيمان بأسماء الله تعالى (دراسة تطبيقية على عدد من الأسماء)

د. رائد سعيد أحمد بني عبد الرحمن
أستاذ العقيدة المساعد، قسم الدعوة والثقافة الإسلامية،
كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة القصيم

ملخص البحث. تهدف هذه الدراسة إلى بيان مقتضيات الإيمان بأسماء الله - عز وجل - (دراسة تطبيقية على عدد من الأسماء) . دراسة يتم من خلالها تحويل المنظومة الأخلاقية الموجودة في أسماء الله — تعالى- إلى سلوك وعمل، فأسماء الله تعالى التي تمثل عنوان التوحيد الذي جاء به الأنبياء، والمرسلون تقرب الإنسان من خالقه، وتزيد محبة العبد بربه عن طريق بناء النفس البشرية بالأخلاق الفاضلة التي يمكن أن نستنبطها من أسماء الله تعالى، وتحقيقًا لهذا الغرض جاءت فكرة البحث بأن يتم دراسة أسماء الله — تعالى- وفق مقتضيات ثلاثة: المقتضى الفكري، والوجداني، والسلوكي، والناظر في أسماء الله — تعالى- يجد أنَّ كلَّ اسم من هذه الأسماء يحتوي على هذه المقتضيات الثلاثة، ودراسة أسماء الله تعالى، وفهمها بهذه الطريقة يؤثر إيجابًا في سلوك المسلم، فيقبل المسلم على الأعمال الصالحة بشتى أنواعها، ويبتعد عن الأعمال السيئة، فيعيش المسلم مع كل اسم من أسماء الله فكرًا ووجدانًا وسلوكًا، فيتخلق الإنسان بأسماء الله تعالى، وتؤثر في سلوكه وعمله . وحتى لا يطول البحث اقتصر الباحث في بحثه على دراسة عدد من الأسماء التي تدل على الصفات الثابتة لله تعالى، واختار منها ثمانية أسماء وهي (السميع، والعليم، والبصير، والقدير، والحكيم، والرحمن، والرحيم، والودود) . وخلصت الدراسة إلى ضرورة الاستفادة من أسماء الله — تعالى- بما فيها من منظومة أخلاقية متكاملة، وتحويل هذه المنظومة إلى سلوك يعمله الإنسان في حياته .

الكلمات المفتاحية: مقتضيات، دلالات، أسماء، تطبيقية، الفكري، السلوكي، الوجداني.